# حواديت عيل موكوس

مراد ماهر

# حواديت عيل موكوس

## مراد ماهر



الكتاب : حواديت عيل موكوس

المؤلف : مراد ماهر

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٩٤٢٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 039 - 3

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى ـ المقطم ـ القاهرة

ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤/٥(٠٠٢) ـ ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٠٢)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف: محمود ناجيه

إلى أبي وأمي وإخوتي وأبنائهم...

أحبكم وأعشق النظر إليكم من بعيد

"من فوق أرضي"

إلى غريبة ..

استطاعت اختصار النهايات واختزال كل النساء

فِي جذوة من قبضة الجمال.

... دعينا نستقطب معطيات الفرحة

نتناسى الجنون لنزداد جنونا

ونستدعي الاختلاف لنحيا لا شبيه لنا .

إلى روحها ...

تلك التي قيدت المرض

وأهدته أسيرًا إلى قلمها .

" **نعمات البحيري** "

إوعى تنام ...

ساعات بيكون النوم أخر مسمار في دماغ الحدوتة .

والحدوتة دماغها صغير ...

قمر العمر

# المقدمة

في كل مكان، وفي كل أوان؛ الناس محتاجة للحواديت، مش عارف ليه، يمكن علشان يهربوا من حكايات تانية، يمكن علشان يجروا ويّا شخوص الحدوتة في لعبة زي القطة العامية، ويمكن علشان في الآخر يخرجوا لسانتهم للحدوتة، ويقولوا بعلو الصوت مع ضحكة خليعة شوية:

"مش إحنا، معرفتيش تطولينا".

والله ما انا عارف يا اخوانا مين لحظتها راح بيكون ضاحك على مين.

جدي قبل ما يصبح حدوتة من ضمن الحواديت اللي في بيتنا، واللي بتتخزن في الغالب جوه شفايف أمي، كان بيقوللي:

"ما تيجي يا واد يا صغير تحكيلي حدوتة، شكلك عفريت".

وأرد عليه باستغراب مدروس وأقول له:

"أنااا يا جدي، أحكيلك حواديت؟ ده أنا لسه صغير باهرب من سيرة العفاريت، استنى أناديلك أمي".

ويوقفني بطرف صباعه العيان ويقوللي:

"لأ خليك راح أروح أنا لأمي"

وشوية ... ومات.

الله يرحم موتانا.

شفتو.. ضحكت عليكم وحكيت حدوتة.

القصد.. نعود.

فكرت كتير وكتير عن عشق الناس للحدوتة، ويا سلام لو كانت متحبشة بشوية مزيكا، تعلى وتوطى والناس تفرح فوقها وتزعل تحتيها.

قلت يا واد يا "مقامُه" طب حاول تسأل حد من العلما، علما الحواديت، يمكن يديلك رد أكيد تخلص بيه وتقوم.

ف لقتني باروح لأمي المشغولة بوابور الجاز وعيدان الكبريت، وترد عليًّا وهي بتضحك وتقوللي:

"طب خد قشرلك حبة توم".

يعععععع... راح أقشر توم؟

تولع حواديت الدنيا لو كان تقشير التوم من محاسيبها.

ولاقيتني بزعق مش عاااااايز.

لوكامية في نن عنيا خلت نن عنيا التانية تقعدني، بالعافية تقوللي

"اقعد يا حمار انت الفايز"

آه يا بنت النصابة يا نن... مش عااايز.

بيني وبينكم قلت وماله نسمع برضه رأي الخبرا في الموضوع.

أمي تقول من غير ما تبص لخلقة أهلي:

"يا بني الحواديت هيا الدنيا، والناس اتولدوا لِقوا نفسيهم بيحبوها، ورغم العشق ده كله ما بين الناس والدنيا دايمًا عايزين ينسوها.

أصل الدنيا منها علاجها وفيها دواها، حتى لما بنلعن أيامها ونقول احنا بنكرهها، بنلاقي حكاية أو اتنين تفاصيلها تجن، فيها كتير من ملامحنا وفيها كتير من كل المخزون من هَمْ ".

تقريبًا أمي نسيت تقشير التوم، تقريبًا نسيت تحرق غدا أبويا.

سحبت ايدي على أوضة جدي المقفولة، وعطتني كتاب مكتوب على بابه "دنيا الحواديت"، وقالتلي:

" واحنا صغار قاللنا جدك إن العنوان مكتوب بالشقلوب، يعني الكلمة الأولى مكان التانية يا حبوب".

قلت :

"وماله يا أمي مش فارقه كتير".

ضحكت أمي وقالت:

"أغبى من أبوه بكتيييير".

الشاهد...

خدت كتاب جدي وجريت لبعيد، حالف بمقام سيدنا أبو عزام لافهم كل المكتوب وأفض بكارة كل جديد.

حواديت جدي كانت زي الغنيوة اللي بنسمعها في ليلة المولد، بيغنيها كبار لابسين زي شيوخ الجامع، عمة وجبة وكمان قفطان. والناس تصرخ من حواليهم الله.. الله.. عيد.. فنان والنبي فنان.

ليلة المولد في بلدنا دايمًا كانت ليله صُبحها جمعة، والناس تستنى الليلة يمكن أكتر م العيد.
أمي بتدبح وزة سمينة تبدأ تظغيطها قبليها بشهر، واللمة الحلوة حوالين الوزة بتخللي ستي تقول في ودانا؛ والوزة بتتقطع"
"شي الله يا بخوري".

راح يتريق واحد من حضراتكم ويقوللي: "بخوري؟".
هسسسسسس.. إوعاك تنطقها، أحسن تصحى تلاقى عنيك في أفاك، كل ما تتقدم ثانية ترجع دقيقتين لوراك.
أصل "بخوري"؛ أقصد سيدنا بخوري؛ لما بيغضب على واحد م الجُهال بيعيش اللي بيتبقى في عمره محتاس عمّال على بطال.. على فكرة ده كلام ستي فهيمة.

ست الستات كنتي والله يا ستي، فهمانة ف كل صغيرة وكبيرة، مش عارف ليه كان بيخاف منها الرجاله، حتى المأمور والعمدة كانوا بييجوا في الأعياد ويودوها.
وأنا مالي.

نرجع بأه تاني لجدي الــ كان مشغول بكتاب الحواديت، وسايب ستي تبقى كبيرة العيلة.

جدي كان بيحب الست نعيمة فرّاشة الوحدة الصحية، صحيح إنها وقت الزنقات بتكون دَكتورة، بس الناس في الأول والآخر كارهين مياعتها ومياصتها، لدرجة إنها كانت ممنوعة تخطي عتبة دارنا.

ستي كانت بتقول: "عتبتنا الطاهرة متعتبهاش بنت الـــ......"

أمي كانت بتقول على ستي إنها مرا قادرة وجامدة وبميت راجل، علشان كده قررت في يوم؛ مش فاكر ترتيبه في وسط الشخابيط اللي في عمري؛ إني أحول ستي لست وتحكيلي حدوتة.

بس إزاي؟

دي بتكره كل الحواديت واللي بيحكوا الحواديت، وبتكره كل ولاد أولادها عشان بيحبوا التوتة توتة...

طب أقولكوا سر على النوتة؟

كانت بتزعق لأمي لو لقيتها ماسكه كتاب، وبتفرح موت لو لقيتها بتطبخ أو ماسكة الفوطة.

طب شوفتوا الكارثة؟..

سطح البيت كان فيه عنباية، جدي حط في وسط التكعيبة كرسي قديم من نوع طلسيم، رِجل الكرسي القدامانية كانت أقصر سنة من اللي وراها... ستي في يوم طلعت فوق، عرفت بالكارثة، وكان

الحل يليق بالحادثة، حطت حتة ونص من كتب الحواديت تحت الرجل الزعلانة م الأرض، صالحتهم على بعض.

يومها جدي لطم على خده زي النسوان، وقعد يصرخ ويفرفر زي العيان.

يا عيني يا جدي، كان لما يشوفها يقول:

"الست فهيمة دي أكتر واحدة بتفهم في الدنيا".

الله يرحمه.. عاش في عذاب، ومات كداب.

آسف جدًا..

نرجع تاني لمرجوعنا، الحيلة اللي عملتها على ستي عشان تحكيلي الحواديت..

أكتر حاجة كانت بتأثر فيها سيرة الناس الصالحين، ستي كانت بتصلي الخمسة، وتصوم اتنين وخميس، وف فجر الجمعة تقعد وسط الأموات تستقبل نور الدنيا بقراية الفاتحة وياسين.

على فكرة أحيانًا كانت تحفظ قرآن وساعات ترفع صوتها وهي بتقرا، يسمعها اللي في آخر الشارع.

كانت بركة.

والبت "جرادة" الشغالة كانت زنانة وحِرْكَة، ودايمًا كانت لما تحب تنرفز أمي تقول:

"ستي فهيمة دي بركة".

**تقدر أمي ترد عليها؟ أو تشخط فيها؟ أو تضربها؟**

**فورًا حتقوم الحرب العظمى ما بينها وبين ستي فهيمة، والحرب ما بينهم شبه الحرب ما بين بريطانيا العظمى وحي بولاق، لا الأولى بتقدر تمحيها، ولا أمي بتقدر تمحي الكره اللي بيملا عنيها.**

**والبت جرادة بتفرح بالحرب الباردة ما بينهم، وبينها وبين نفسيها بتضحك وتقول: "أرزاااق".**

**وأنا برجع أدور حوالين ستي، مره أبوسها، ومره ألاعب ايدي الهبلة في شوارع بين صوابعها، وبنادي عليها:**

**- ستي يا ستي..**

**وترد عليَّا: "قول يا روح أمك"**

**- سيدي الجارح جاني في منامي امبارح.**

**- "وحيااة أمك".**

**ف جريت.**

**حبة تفوت وشوية يعدوا...**

**ستي فهيمة هِديت وناديت لي، وقالت:**

**" شكلك كده كداب مش نافع، شكلك شارب حُبّ الحواديت من سيدك، شكلك شبه أمك متسهوك ومنسون وملاوع".**

**يا نهار كحلي، ستي فهيمة بتكرهني، عرفت إني موالي لحزب الحواديت المايع.**

يا نهار موحول، الخطة اللي قعدت ليالي بخطط فيها وأكلها وأغديها طلعت مفقوسة؟ سهوكتى اللي بتحبي ناحية ستي طلعت مهروشة؟

الله يجازيكي يا دماغي، راح تعملي إيه؟

طبعًا عارفة، مش حعرف أعيش في الدار بعد ما ستي هرشت نصبايتى عليها..

مش حعرف أضحك تاني ولا ألعب تاني في نواحيها..

مش حعرف أغني غنيوة كنت باصحي بيها الدار في الفجرية..

ولا ألعب بالكورة في حوش الدار في الضهرية..

ولا أقعد من بعد العصر قدام حلة أمي أمصمص في العضم.

وأكيد مش حقدر أمدد تاني في العنباية بتاعة سيدي أسمع حواديته وقت الليل ما يموِّت نور الشمس..

ولا حقدر أتَّاوب على حِجر أمي، وأبويا فرحان بيا وبيبوسني وقت الليل ما يكون لابس ضلمة، وعامل زعلان عالشمس..

وأكيد مش ححضر تاني مولد سيدنا بخوري..

وأكيد مش حشخط تاني في البت جرادة.

آآآآآه، بنت الكلب الجربانة، راح تشمت فيا وتجري ورايا ف وسط الدار وتقول:

"ما توسخش الأرض، أنا ماسحة".

إلهي يولع شعرك يا بعيدة يا ماسخة.

راح تعملي إيه يا دماغي .. راح تعملي إيه يا دماغي.

آه، أعمل عيان.

والله فكرة، أعمل عيان..

وقفشت في بطني وصرخت بعلو الصوت؛ زي ما بواب متعافي يقفش في حرامي هربان.

آه يا بطني.. آه يا بطني..

اتلمت حواليا الدار، أمي بتصرخ م الرعب عليَّا، وجدي أول حاجة نطق بيها: "ننده للست نعيمة".

وأرد عليه في دماغي:

"وده وقته يا جدي؟"

إيد ستي فهيمة ظهرت فجأة ورا عِمة جدي، وطاااخ...

" ستت نعيمة يا كرماني؟.. خليتها الست؟.. وبتعصى أوامري وتحلم إنها ممكن تدخل داري؟!".

ما قدرتش أمسك نفسي، ونسيت بطني وأمي وجدي وستي، وقعدت آآضحك، آآضحك.

ودي كانت آخر مرة أضحك فيها من غير ما أتألم.

كل ما آجي أقعد واعمل حمام بتفكرني اللسعة اللي ورايا بستي فهيمة وهي بتلعب بالنار في "اللامؤاخذة".

... سامحوني مقدرتش أنسى.

على فكرة، أنا بعد ما خلصت الجامعة، خطيت ورقة فيها بلاغ عن ستي فهيمة لكل الجمعيات الأهلية.

**من يومها حلفت ما حسمع ولا حطلب حدوتة من حد.**

**آه...**

**حكتب كل الحواديت اللي بشوفها واللي حشوفها..**

**حكتب عن دارنا، عن ظلم الست فهيمة لسيدي كرماني..**

**عن طيبة أمي الشقيانة طول اليوم في الحله الـــ"قعرها" محروق..**

**عن جدي الهيمان في الست نعيمة المايصة..**

**عن أبويا؛ اللي لحد السطر المكتوب مش متخيل حدوتة على مقاسه..**

**حكتب عن كل الناس المبروكة، عن مقاماتهم، عن موالدهم، عن كرامات عمري ما حسيتها غير في عيون ستي والبت جرادة.**

**حكتب عن أمي اللي تصوَّت لما أخوها يموت، وتصوَّت برضه لما يموتلها دكر البط!.**

**حكتب عن جهل الناس في بلدنا بالفرق ما بين الدين والعيب.. ما بين الدقة اللي في قلب الخايف، والرعشة اللي في عين المظلوم.. ما بين الفاس العرقان بدموع الأرض، والفقر اللي بينحر في عيدان الجلاليب.**

**حكتب عن غفرا بلدنا الواقفين قدام النقطة ببنادق شبه النبابيت، شنباتهم أقواس ودواير حاجزة وراها الخوف من عقل البني آدم لما ينور.**

حكتب عن أصغر تفاصيل في عقولهم، اللي بيحلفوا في اليوم ميت مرة إنها أكبر بكتير من كل الدنيا.

حكتب عن أفرح نوع عرفوه من أنواع الفرحة، لما بييجي الواد على ست بنات.. عن أحزن نوع عنديهم من أنواع الحزن، لما تموت الأم وهى بتولد بت ولسه ما جابتش الواد.

الأغرب إن الدمعه في الحالتين بتكون الحل المعتاد.

حكتب عني وعن نور الصبح اللي وانا صغير كنت بقول:

" هانت، كلها كام حلم وحصحى ألاقيه قدامي ينورلي اللي اتبقى في عمري ".

م الآخر قررت أغيظ ستي فهيمة وأكتب حواديت.

**حكتب حواديت**

إوعى تنام ...

لحسن تصحى تلاقي عنيك عيانة ..

فمتعرفش تعيط

# الحدوتة الأوَّلانية

المنظر من بلكونة دارنا يجنن يا اخوانا.

وقبل ما نسرح في الحدوتة، واجب إني أنبه حضراتكم "ما تعدوش كلمة بلكونة بالساهل".

آخر حاجه كان يفهمها الناس في بلدنا يشوفوا بني آدم واقف فوق سطح الدار، بيخزّن حبة غلة أو بيوزّع بالعدل أقراص الجِلة على نور الشمس.. وآخر حاجة كان بيقولها أهل بلدنا عن البلكونة :

" أوضة مفتوحة بنلمحها فوق قصر محمد بيه الراجح متعلقة من غير مسمار".

على فكرة، محمد بيه الراجح يرجع أصله لسيدنا الراجح، وسمعت كلام إن البلكونة كرامة من وسط الكرامات اللي ورثها وخلته جبار، أغنى واحد على مرمى نظرهم، والنايب عنهم بعد ما كان أحقر من أصغر صرصار.

سبحان الوهّاب العاطي.

الشاهد...

المنظر من بلكونة دارنا يجنن يا اخوانا، عامل زي اللوحة اللي بيرسمها عيال؛، ربنا يلطف بينا وبيكم؛ عنديهم حاجة عبيطة في دماغتهم، ممكن يرسملك ساقية جنب البحر المالح، ممكن يرسملك شمس شعاعها أوطى من كعب الكتكوت، ممكن يرسملك مصنع أكل مكنه بيدور بقوالح.

المنظر يبدأ بالشجرة اللي على شمال الدار، الناس بتقول إن الراجح هو اللي زرعها وهو صغير، ونحت على جذع الشجرة كلمة: "سبحان الله".

الرايح والجاي يتمسح فيها لجل البركة تحل عليه.

قدام الشجرة تل زبالة بيعلا عن الأرض مقدار طول عشرين عيل واقفين فوق بعض.

وف وسط التل ممر نضيف وطويل في نهايته سور عيان بيحوط على سيدنا الراجح، وجنب السور م الناحية التانية خرابة كبيرة لماتشات الكورة.

وف آخر المنظر من فوق بتشوف المادنة العالية بتاعة الجامع، بيقولوا ده أكبر جامع في الدنيا، وكمان الناس لما بترجع م الحج بتقول إن الجامع ليه أخ هناك.

أكتر حدوتة غريبة عن الجامع موضوع الكنز، اللي الأرض الـــ "حواليه" تنشق عليه مرات معدودة ف عمر الدنيا، واللي يصادف ويعدي من جنب الجامع لحظتها راح يبقى قارون.

طول عمري وأنا صغير كنت بحب أقعد باصص ع اللوحة اللي رسمها عيل مجنون.. مش علشان أتفرج ع الناس اللي بيتباركوا بشجرة دارنا، ولا علشان النسوان اللي بييجوا مع الفجر لسيدنا الراجح يطلبوا منه الخلفة أو طولة العمر لعيل بيموت، ولا علشان الكورة اللي بتهرب لأقرب لمبة جاز وتكسرها، ولا علشان ألمح كنز بيخرج من تحت الجامع.

كنت بحب المنظر علشان أتفرج بعد أدان المغرب على عيل أكبر مني بشبرين، بلاقيه يخرج من خط بيفصل بين النور والضلمة من جوه التل.

وأسأل أمي وأسأل ستي، والبت "جرادة" ترد عليًّا :

"عيل ملهوش أهل".

وقالتلي كمان إنه حرامي.. طب ليه يا جرادة...

ترد تقول :

"معرفش... شكله كده مش سهل".

مش عارف مين سماه فارس، بس لاقيتني بقول له في سري يا فارس، ومحدش في بلدنا كان يعرف فارس قدي، ومحدش كان

يعرف مواعيده لما بيخرج من وسط زبالته قبل المغرب، ولا لما بيرجع ليها قرب الفجر.

كان يلمحني في البلكونة ويضحك، مش بالظبط، أنا كنت بشاور، كان بيرد بربع سلام مع حتة ضحكة.

كنت بحبه.

حيرد أخينا اللي بيقرا الحدوته، طب ليه؟.. فيه حد يحب الـــ باني بيته في تل زبالة؟

راح أرد عليك:

مش عارف ليه أنا كنت بحبه، يمكن حسيت إني بشوف حدوتة بتخرج من جوه اللوحة، بتبص عليّا، عايزاني أبص كويس في الألوان.

ويمكن حسيته مش زي عيال الحواديت ف كتاب جدي المتشقلب، يمكن علشان من غير أم، يمكن علشان مش بيروح المدرسة ويّانا، حسيته غلبان.

فارس عمره ما صاحب حد، فارس عمره ما خد ولا باع من حد، كان زي العفاريت اللي بتسقي زرع الحواديت، كان عند الناس مبيفرقش كتير عن حتة في تل زبالة.

لكن لما بييجي أوان المولد، الناس تحترمه، بالذات النسوان، ويقولوا:

- "فارس هو الحارس اللي بيحرس سيدنا الراجح".

ويقولوا كمان:

- "فارس بتحل عليه البركة".

أغرب حاجه إن الواد فارس عمره ما حضر المولد، ولا ركب المراجيح، ولا لعب البمب، ولا حتى زار صاحب المولد.

وف يوم قبل الفجر ما يدن بشوية، صحيت م النوم على صوت طلقات النبابيت اللي بشوفها على اكتاف الغفرا، ووقفت على البلكونة أتفرج.

كنت أسمع إن الغفرا بيقتلوا في كلاب الشارع، بس دي كانت أول مره أقفشهم.

المنظر كان مش واضح خالص، العتمة بتخفي وشوش الغفرا، وكلاب السكة بتهرب ناحية أكوام التل، وصوت الضرب ما بيبطلش.

وأسمع أصوات الناس جوه بيوتها بتفتن على كلب أو اتنين وتقول:

- "يا غفير مختار.. فيه كلب بينبح في الجيهه القبليه جنب الدار".

شوية.. والناس كلها صحيت من نومها، والناس وقفت قدام عتبات دارها، والناس تفتن حبة وتضحك حبة، لحد ما مات الصوت اللي بينبح.

لحد ما برم الغفرا ف شنباتهم ورفعوا إيديهم بالنبابيت بيحيوا الناس ويشاركوهم فرحتهم بالنصر.
وانا واقف في البلكونة أتفرج بعد الغفرا ما مشيو، وبعد ما نام الناس على جثة كلبة اختارت عتبة دارنا عشان تحكيلها نهاية الحدوتة... يمكن كانت بتقول كلنا حنموت، حسيت إني بموت وياها، وقريت على روحها الفاتحة.

وفي نفس اللحظة اللي بودع فيها الروح الهربانة من شر الدنيا، لاقيته بيخرج من وسط التل، بيجرجر رجله المليانة بالدم، وبيقول الآآآآآآآآآآآآآه.
ودي كانت أول مره أسمع صوته.
خفت أصرخ، خفت أفتح بقي، مش عارف ليه اتلجمت، مش عارف ليه قعدت مبحلق في عنيه المليانة دموع حمرا.
ولاقيته شايل رجليه بإيديه ومجرجر نفسه لتحت البلكونة.

والمنظر كان واضح جدًا بعد الصبح ما شقشق.
طلقه من طلقات الغفرا فقعت عين، والتانية قتلت رجل من الاتنين.
فارس كان بيحاول يتكلم أو يتنفس، خفت عليه من الكلبة لتاخده ويهرب وياها.
فارس لحظتها زود خط جديد وسط خطوط اللوحة المجنونة.
عيل أكبر مني بشبرين بيعيط، عين بالمية وعين بالدم.

**ستي فهيمة صوتها بيمسح كل الألوان:**

**- "انت يا موكوس خش نام".**

**أمي كمان بتخاف منها ومن مشاكلها واسمع صوتها يقول :**

**- "خش يا واد لحسن تستهوى".**

**فارس سامع صوت النسوان الشريرة، جرجر نفسه بعيد وبعيد، أبعد من حتتنا، وأبعد من كل بلدنا.**

**من يومها وبيت فارس مهجور..**

**من يومها واللوحة يتيمة محتاجة لنور.**

**من يومها باقف فوق بلكونة دارنا ليلاتي بستنى عشان أتفرج بعد أدان المغرب على عيل أكبر مني بشبرين، يمكن يرجع يخرج من خط بيفصل بين النور والضلمة من جوه التل!.**

إوعى تنام ...

تحسن تحلم من غير ما تحس ..

والحلم اللي ما يصرخش ف وشك بشجاعة..

ممكن جدًا يبقى هلاكك.

# الحدوتة التانية

مولد سيدنا بخوري، أكبر مولد في بلدنا، مراجيح ياما، عربيات بمب المرصوص قدامها نبابيت زي بتاعة غفرا النقطة، والمسؤول عنها بنات من برة بلدنا مايصين بالفطرة.. وبيتقال مشيتهم بطالة، وبيتقال بيروحوا ليلاتي لقصر محمد بيه الراجح ولبيت العمدة.

ستي فهيمة بتقول إن نعيمه فراشة الوحدة الصحية مصاحباهم.

وأمي ترد عليها :

"حرام، منخوضش ف أعراض الناس".

ستي بتضرب كف بكف وتصرخ وتقول :

"بتردي عليًّا يا شلبية، بتردي يا أم الموكوس المحتاس، والله اللي يدور يلاقيكي معاهم".

وأمي بترقع بالصوت الحيإني ف وسط الدار، وأنا بفرح أوي لما الحرب ما بينهم تبدأ.

وبداية الحرب ما بينهم معناها إني اهرب ع المولد ييجي ساعتين، وأرجع بعديهم متسحب وسط النسوان اللي بيتلموا عشان يصلحوا بين الاتنين.

وأول ما أخرج من دارنا أجري على عم فاروق.

عم فاروق كان من مصر، من حتة كان بيسميها "السبتية"، بيلف الدنيا من أول فوق ولأخر تحت، ويرجع من تاني في معاد المولد.

يرجع ساحب في إيديه اللعبة النصابة، لوحة كبيرة يعلق فيها صناديق معمولة من الكرتون والصناديق مرصوصة بترتيب الأرقام من واحد... لكتيييير، قول مليون.

والصناديق مليانة جوايز، مش بالظبط جوايز، كانت بالنسبة لي مليانة أحلام وظنون.

وف إيده جراب جربان مليان أرقام بأسامي الصناديق. وعم فاروق بينادي في وسط المولد:

"حللي بقك ... دوَّر ع الصندوق المجنون".

وبيتلم عليه كل عيال المولد.

عم فاروق كان دايمًا بيجيب وياه بنته، واستنوا الصدمة الجاية..

بنته اسمها إيه ؟؟؟

حد يخمن ؟

بنته اسمها "مصر"، طب والنعمة مسمى البت قال إيه مصر.

أول مرة قال قدامنا الاسم ضحكت وقلت لعشرين عيل كانوا واقفين حواليه :

"بيهزر، تلاقيه بيهزر".

ولاقيته مكشر، فضحكت وقلت :

"وماله يا عم فاروق، الاسم جميل والله، ده حتى جديد ومسكر".

اللي يزعَّل إن البت المقروضة كانت هبلة، مبتعرفش تفك الخط ولا حتى تساعد عم فاروق وتشّغل وياه اللعبة.

اللي يزعَّل أكتر إن أنا حبيتها، أصل مجرد إن الواحد يتعرف في بلدنا على مصراوي يبقى اتفتحتله طاقة الأبهة والعظمة، يقعد يتباهى في وسط الخلق ويحكي ويتحاكى عن شوارعها وعن ميادينها وعربياتها وعن نسوانها - اللهم احفظنا - العريانة.

اللي يغيظك إنك لو دورت وراه حتلاقي صورة مصر في عقله بيرسمها من حكايات الراديون اللي في دكانة نبوية الفتانة.

أول ناس أعرفهم من مصر كانت "مصر" وعم فاروق.

أول بنت لاقيتها بتضحكلي؛ طبعًا غير البت جرادة؛ كانت مصر.

أول حد أتعشى معاه حواديت مش حمضانة كان عم فاروق.

كنت بعيط لما بيحكي حكاوي عن الناس اللي بتتغرب وبتتسابق ويّا الموت لجل اللقمة، وعن الناس اللي بترجع تتقابل من تاني ويّا ماضيهم بعد الفرقة.

**كنت بعيط لما بيمسح بإيديه الدمعة وينضف وشه بمسحوق الضحكة الكدابة.**

**كان على طول بيزعق في السما ويقول:**

**"استرها يا رب.. ده احنا غلابة".**

**اللعبة بتاعة عم فاروق كانت غالية شوية، بقرشين، بس أنا رأيي إن فلوس الدنيا تهون لجل الحلم النايم جوه الصندوق المجنون.**

**عم فاروق كان لما يشوفني يقدمني على كل عيال المولد، ويمد إيديه بجرابه، ناحية إيدى. وأقعد أفعص في الأرقام وأحسس في خطوطها من تحت لقدام.**

**كان كل عيال المولد بتقول العشرة هي اللي بتكسب، وبعد ما أحسس وأفعص واختار ورقة وأقرأ عليها كل اللي حفظته من القرآن تطلع إيدي بورقة، حاضناها وخافياها عن كل عيون الواقفين.. يمكن خايفة من الحسرة ويمكن خايفة من العين.**

**وعم فاروق كالعادة يكرمش عينه ويضحك ويخلص بإيديه الاتنين الورقة من حضن صوابعي الخايفين. وأفضل باصص في عينيه الساكتين يمكن ألمح فيهم عشرة، يمكن عينه تقوللي كسبت.**

**عم فاروق كالعادة بيفتح صندوق مش عشرة، ويهتف في الإيد المهزومة: "حللي بقك".**

**- أرواح ؟!**

تاني يا عم فاروق، أدفع قرشين في اليوم وآخد بيهم أرواح، نفسي يا عم فاروق أكسب مره قبل أوان اللعب ما يخلص، نفسي أكبر وأتفاخر مرة في وسط عيالي إني لمست العشرة بإيدي، إنى كسبت فلوس.

كنت بحس بجد في لعبة عم فاروق إني زي ما بتقول ستي عليًّا "عيل موكوس".

عم فاروق كان دايمًا يضرب مصر، كان دايمًا يهريها من الضرب، كانت صعبانه عليًّا، وبتصعب أكتر لما تقول لأبوها :

"جعانه يا بابا".

فيرد عليها بشلوت يعصر نن عنيها عصر.

كلمة بابا دي كانت في ودانا شبه الحاجة الجاية من مصر، شبه العربيات اللوري،شبه الراديون،شبه التلافون اللي ف بيت العمدة، شبه الناس الراجعة من عند رسول الله لابسين أبيض ف أبيض وبردك بيقولوا شي الله يا بخوري.

بس أنا عمري، عمري ما حسدت البت إنها من مصر، وعمري ما اتمنيت إني أنادي أبويا وأقوله يا بابا.

حسيتهم كده مش زيينا، حسيتهم زي كلوب الزينة، حستنا كمان أحسن منهم، وأحسن من كل الناس اللي في مصر.

طب أنا عمري ما قلت لابويا أنا جعان، قبل ما افكر أنطق بيها بيطل الخير اللي في دارنا يلجم بقي بنعمة ربى علينا ويفيض على كل اللي يخبط على باب الدار ويقول أنا غلبان.

بس أما بفكر وأفكر، بقول مصر أكيد غلبانة، ذنبها إيه إن أبوها مجوعها، ذنبها إيه انه ذاللها ومبهدلها في بلاد الله، لا نومة مريحة، ولا هدمة نضيفة، ولا أم تريحها.

البت كانت تهرب من صناديق أبوها، وتقعد ويايا شوية جنب المرجيحة الشطاحة، كات بتعيط وتقول:

" أنا زي بنات الدنيا كان ليا أم، مش فاكرة الصورة اللي اترسمت ليها من سنتين ويا الاسم في عقلي، بس أنا فاكراها.. كانت حلوة. هربت منينا لما أبويا رماها بوابور الجاز في عنيها، وشها كرمش، ورموشها اتحرقت".

والبت تعاايط، وأنا أعاايط.

والبت تقوللى :

"إوعاك يامقامه تولع في عنين حد، إوعاك تولد بت عشان تكرهها وتجوعها وتعريها في وسط الخلق"

وانا من جوايا برد عليها :

"كنتيش إنتي اللي ولعتي يا هبلة، وأنا ناقص، ستي فهيمة تبكيني في الدار وانتي كلامك كره ونار "

حسيت إني راجلها، وقلت في ذات بالي:

"يا واد يا مقامه ما تتجوزها !

آآآآه اتجوزها، دي مهمن كان من مصر، تعملك هيبة في وسط عيال الحتة".

وأرجع تاني وأفكر وأقول:

" ستي فهيمة حتضربني، وأبويا حيقول يا خي خدلك لاوَّل نص ابتدائية".

طيب.. أهرب بيها؟

طب على فين، وأنا بردك أعرف أروح على مصر ؟

ده أنا عمري ما بصيت أعلى من المادنة بتاعة الجامع، عمري ما هربت بعينى أبعد من خضرة تحوط على أي شعاع خارج منها.

يا عيني يا "مصر"، مش حقدر أساعدك، وكمان م الآخر مش حقدر أبعد عن أبوكي، لازم أكسب، لازمن ولابد ألمس بإيديا العشرة.

شيطاني لعب في دماغي وقاللي:

(يا عبيبيط، هو انت مصدق نصباية عم فاروق، حتلاقي جرابه فيه كل الأرقام إلا العشرة، وكمان حتلاقي كل الصناديق مليانة "تحلية البق"، بما فيهم صندوق العشرة).

رحت في يوم بالليل على "مصر"، سارق رغيفين قشطة من الحلة اللي في أوضة ستي.

وقلت : "يا مصر اتعشي".

فرحت موت، وقالت لي: "بحبك"،

قلتلها أنا نفسي أتفرج ع "العشرة"، نفسي أشوف الصندوق المجنون إياه.

وقالتلي تعالى..

وسحبت إيدي لجوة الخيمة، وعطتني جراب الأرقام.

وقلبت الأرقام عالأرض، ولاقيت قدامي العشرة، وفرحت.

- يا شيطاني يا ابن الكلب، بتلعب في دماغي؟، عايزني أكره عم فاروق؟.

آه، نسيت،

قلت لمصر:

"باقي نشوف الصندوق المجنون، نتفرج ع الجايزة الحلم".

ولاقيتني قدام اللوحة المليانة صناديق كرتون، وفتحت الصندوق العشرة.

وكانت الكارثة، وببص ورايا وقدامي وألاقى شيطاني بيضحك.

ولعنت فاروق، وشتمت البت، وجريت على دارنا، ورميت عيني في حضن أمي، وحلفتلها، عمري ما حروح المولد، مش حخرج من دارنا لحد ما يخلص.

كل ما بفتكر الجايزة اللي ف صندوق العشرة، أعيط.

عم فاروق كان كاتب جوة الصندوق بحروف بهتانة

كلمة "مصر".

إوعى تنام ...

لحسن تصحى تلاقي بلدكوا مُغمى عليها

وبايتة في وسط الطل.

وتلاقي البيت اللي لاممكوا

مهاجر في الناحية التانية من الدنيا .

الناحية اللي صفار الرمل بتاعها

بيتكحل بحمار الدم.

# الحدوتة التالتة

فاكرين ؟....

لما ف يوم الشمس اتخاصمت ويّا الدنيا، واتحايلت ع الضلمة تحل مكانها لحد ما تتعود ع الحيرة والتكشيرة اللي اترسمت في وشوش الخلق.

فاكرين ؟....

لما الضلمة بتستغرب منِّيْها وتهديها وتفكرها بحب الناس للنور وبتعطس فبتعمل حاجه شبه البرق.

والناس حيرانة ما بين النور والضلمة وتبص لفوق وتداري بإيدها عنيها لحسن ييجي النور على غفلة فيعميها ويخليها لا شايفة النور ولا عارفة الضلمة ولا قادرة تحدد فين الفرق.

فاكرين...؟

... أنا فاكر..

تقريبًا يومها الضلمة قالت للشمس:

" أنا مالي، خدي دورك في عيون الناس لحسن حد يقول إن الضلمة ممكن تهزم نور الشمس".

يومها الناس ف بلدنا صحيت على صوت الراديو يقول:

" أنا كداب.. أولادكم ماتوا والأرض خدوها، والراجل اللي رسمتوا ملامحه الصعيدية ف عين الشمس طالع بيقول: أنا ماشى، والحق عليَّا، وموافق إني استحمل أي عتاب".

وبنسمع صوت المادنة بتاعة الجامع بتقول قرآن عن سيرة الشهدا وف نفس الثانية بنسمع صوت النسوان اللي الحزن ماليهم بتصوَّت من جوة بيوتها، والحزن ف صوتهم بينادي على عيالهم اللي خدوهم لجل ما يكسروا بيهم شوكة البعدا.

وف مندرة الدار، ستي فهيمة واقفه قصاد صورة سيدنا الريس بتعيط، بتقول له:

" ارجع يا جمال بلا لعب عيال، حتشمت فينا ولاد الكلب الكفار".

والبت جرادة بتطلع فوق السطح تبص يمين وشمال وبعيد يمكن تلمح أى يهودى.. وتنزل وتقول:

" الراديو ده أكبر كداب يا جماعه، الأرض مكانها، محدش قرب منِّيْها، ولا حدش قرب م الدار".

والناس في بيوتها بتهرب من فكرة إن المادنة بتاعة الجامع بتعزيهم، الناس مش عايزة تسمع قرآن.. القرآن يومها كان معناه الحزن، معناه الموت؛ حتى لو كان بيبشر بالجنة.

الناس مش عايزة تروح الغيط.

لأ، الناس مش فاكرة الغيط، أصوات ياما بتخرج من زرايبهم زي عياط البني آدمين، واللي بيعرف يتفاهم ويّا طيورهم وحميرهم وعجولهم، يعرف إن الصوت الطالع منِّيْهم معناه جعانين.

وأنا واقف ف البلكونه ببص لفوق، مستغرب إن الشمس لحد الضهرية مطلعتش، إن سحابة كبيرة بتمنع قرص النور عن كل بلدنا.

والحاجة جليلة أم جلال تخرج من دارها تصوَّت وتعيط وتخبط على باب الدار وتقول :

"ست فهيم، كلمي عب ناصر من تلافون العمدة، وقوليلوا إوعاك تمشي من غير ما ترجّع لعيال،

قوليلوا أم جلال بعتتلك لتنين وقوليلوا أساميهم مرزوق وجلال".

وستي فهيمة بتدفن راسها وراس الحاجة جليلة ف طرحتها السودة وبتقول وبصوت مبحوح:

"بس يا بت بلاش خوتة، عيالك راجعين والأرض حترجع والشمس حتطلع وجمال لازمن ولا بد حيرجع".

محمد بيه الراجح بيلف على بيوت الناس اللي عيالهم ع الجبهة، وبيقول للناس:

"الريس راجع، الريس حيرجع كل عيالكوا الأبطال".

والعمدة ف ديله يوزع ع العتبات فتة ولحمة وريالات عمّال على بطال.

والأيام في بيوت الناس تتلكع مش عايزة تعدي زي القطر بتاع المركز ما بيسبق بالعافية حمارة الكارو العيانة.

وشوية، والشمس بتستهبل وبتنسى وتطلع من تاني وتاخد غفوتها لحد الضلمة ما تصحى.

وستي فهيمة قافلة عليها باب الأوضة تصلي وتقرا القرآن وتبص ف صورة سيدنا الريس، واللي يكلمها تقول له:

"سيبوني.. مهمومة وزعلانة".

والحاجة جليلة كشفت راسها ونامت على عتبة سيدنا الراجح حالفة ما ترجع بيتها إلا اما يرجع ليها عيالها التايهين ف بلاد الرملة العرقانة.

ويومين والناس بتحاول تهرب م الضلمة بغيبوبة النوم.

تطلع أصوات من عند المادنة بتاعة الجامع بتقول:

"الواد مرزوق ابن الحاجة جليلة راجع بيعيط موجوع".

وانا بجري على البلكونة ألاقي خلق الله اتلمت حواليه، تستغرب من منظر عسكري لابس لبس العسكر مقطوع.

والواد مرزوق هو كمان بيعيط وبيسأل كل الناس عن أمه، والنسوان اللي عيالها من يوم الحرب مجاتش، تتشعبط في هدومه يمكن ينطق ويقول:

"إبنك حي يا خالة، إبنك لسه مماتش".

والناس بتشاور للواد مرزوق على عتبة سيدنا الراجح وبتمشي وراه زي الماشيين ف جنازة من غير خشبة ميت.

والحاجة جليلة بتلمح وش الواد مرزوق بيعيط، غطت راسها ومسحت من جوة عنيها الدمعة البايتة.

وبصوت شبه اللي بيخرج من بق الرجالة العيانة بتصرخ وتقول:

"فين أخوك ؟"

والواد باصص في الأرض وساكت ودموعه بتروي الخرس النابت ف وشوش الناس حواليه.

والحاجة جليلة بضهر إيديها المرعوشة بتضرب وشه وتمسح حبة مية بتخرج من جوه عنيه.

وبنفس الصوت الخارج من بير في الصحرا هربت منه المية وحطت كل الرملة عليه، صرخت فيه:

"ارجع يا جبان مش عايزاك، ارجع لجمال وإوعاك أشوفك غير لما تكون الرملة وجتة أخوك وياك".

والواد مرزوق يرجع من تاني باصص في الأرض وهربان من كل النسوان اللي بتتشعبط ف هدومه المقطوعة، وتجهز صرخة لجل ما تحضن بيها الموت يمكن ينطق كلمة:

"أيوه يا خالتي.. ابنك مات".

وأيام بتفوت وشهور بتموت ومحدش شاف مرزوق راجع حتى يطل على أمه.

والحاجة جليلة من يومها قاعدة بفرشتها بتحرس عتبة سيدنا الراجح.

وف يوم بعد الست سنين ما تعدي وقبل الناس ما تنام، بنشوف اتنين لابسين زي العسكر رايحين ناحية سيدنا الراجح، شايلين المخلة بتاعة مرزوق وبيدفنوا كيس رمل ف حجر الحاجة جليلة وبيقولوا:

"ابنك مرزوق حملنا أمانة، وفاتلك ويانا...

حبة من رملة سينا".

إوعى تنام...

لحسن تنسى الفرق ما بين الدين والدنيا

ما بين المادنة بتاعة الجامع

والقصر اللي بيلمع في الضي

# الحدوتة الرابعة

بيقولوا إن بلدنا ف يوم اتحرقت.

أكتر من نص القطن أسوّد وأكتر من نص القمح اتْفَحَّم.. أكتر من كل الدنيا اتهد، وأكتر من كل الرجالة خافت تخرج من دورها.

بيقولوا كمان البوستة، النُقطة، كُتاب الشيخ مسعود، والوحدة الصحية اتحرقوا.

إن العربيه الكارو المسحوبة بحمار واللي بتنقل بستلات المية عشان تطفي الولعة كمان اتحرقت بحمارها.

بيقولوا إن الدنيا ليلتها اتردمت بالدخنة السودا اللي بتزكم مناخير الناس بريحتها... ريحة بكرة المتفحم والعمر المحروق.

بيقولوا مفيش دار في بلدنا ما طاليتهاش الولعة، والناس جواها يصلّوا ويدعوا وعينيهم قبل إيديهم ممدودة لفوق.

بيقولوا ليلتها الناس قالت للموت جاهزين.. مش فارقة معانا، واللي يموت محروق حيخش الجنة.

بيقولوا:

وفجأة ترعة سيدنا البهلول بقت أكبر من بحر كبير بيفيض بالمية، والمية بتمشي برجلين لمكان الولعة تطفيها.

بركة سيدنا البهلول حلت يا اخوانا والولعة بتخلص والمية بتنشف جوه الترعة.. السما رجعت صافية، والناس بتنفض كل تراب الرعب ف جوفها وبتخرج للشارع بتخبط على باب النور الرباني، والناس بتجمع بعضيها تقعد حوالين الترعة المبروكة وتستغرب، ده مفيش نقطة مية في قعر الترعة، ده مفيش غير لون الطوب المتهبب والخضرة المحروقة.

الناس حزنانة ومحتارة وباصة لفوق، يمكن ربنا يفرجها، يمكن يلقوا بلدهم رجعت خضرا وينسوا الرعب وترجع تاني الضحكة.

شيخ الجامع بيزعق في الناس وينادي:

"المادنة بتاعة الجامع متحرقتش، المادنة سليمة".

وسيدنا زباللي يزعق ويقول:

"الناس الصالحين مقاماتهم عايشة، وعايشة معاها البركة".

والناس بتبص الناحية التانية وتهتف وتقول:

"قصر البيه الراجح لساه منور، بركة سيدنا الراجح حالّة عليه، ومستَجْرِتش الولعة تهوب نواحيه".

**في الأخر...**

**شيخ الجامع ماشي بيحضن بعنيه المادنة العالية بتاعة الجامع.**

**وسيدنا زباللي بيجري ناحية سيدنا البلشي وبيقول:**

**" شي الله يا حبيبي ".**

**والناس سحبت بعضيها ومشيوا الناحية التانية؛ قاصدين القبة بتاعة البيه.**

إوعى تنام...

لحسن تصحى تلاقي الدنيا مش لساها الدنيا

يمكن تلقاها بتجري على سرير الإنعاش..

مستنية الموت

# الحدوتة الخامسة

عم زباللي حارس سيدي البلشى - واللي الناس كان بتحب تنادي عليه وتقول له يا سيدنا زباللي - كان بيصلي معانا الجمعة...

لأ مش عادى...

أول مره أشوف سيدنا زباللي يصلي ويّا الناس في الجامع.

راح أسمع واحد يسألني عن المانع... والرد بسيط.. منقول من خاشم ستي فهيمة :

"سيدنا زباللي بيصلى كل الأوقات مع سيدنا البلشي".

والشيخ محجوب شيخ الجامع أول ما بيلمح سيدنا زباللي قاعد وسط الناس راح حالف بمقام سيدنا البلشي ليخطب فينا الجمعة.

وعم زباللي بتزغرد ف عنيه الفرحة، أول مرة حيطلع ع "المنبر"، أول مره حيعمل فيها إمام.

**حاكم الناس في بلدنا قليلة الذوق مع كل الدنيا إلا مع اتنين.. اللي بيطلع ع "المنبر" واللي بيمسك ف إيديه نبوت النقطة، لازمن ولابد في الرايحة وفي الجاية تعظمله سلام.**

**وزباللي كان عارف جدًا إن الناس مش شايفاه زي شيوخ الجامع، الناس كات حاسباه درويش من دراويش البلشي، وساعات بيقولوا عليهم خُدام.**

**بس من الجمعه دي الدنيا حتتغير، سيدنا زباللي حيخطب في الناس الجمعه من فوق المنبر.**

**سيدنا زباللي بيطلع عتبات المنبر بالراااحه، ويبص على الناس من فوق وعنيه بتعيط ويقول: "سيدي البلشي امبارح قاللي: قول للناس قيامتكم حتقوم يوم الجمعة"!.**

**وزباللي سكت مخطبش الجمعة، وبينزل من ع المنبر بيعيط أكتر.**

**الناس بتبص شوية لبعضيها، وشوية تبص لشيخ الجامع مش عايزة تصدق نفسيها.**

**الناس بتبحلق في الشيخ مرعوبة، مستنية يقول:**

**"ده كلام مجنون".**

**مستنية يقوم يخطب خطبة جديدة، أو يضحك حبة نفس الضحكة اللي بيضحكها لما بيتريق على ناس بتشكك فيه لما يلم فلوس للجامع، أو لما يشوف واحد متخانق ويّا جماعته وجاي بمخدة ينام جنب المنبر، وأما ينادي عليه يعمل رايح في النوم مش سامع.**

شيخ الجامع هو كمان كان بيعيط ومبلم، مش عايز يتكلم... وأما نطق قال للناس قولوا ورايا: "سلم سلم.. يا رب سلم".
والناس مش عايزة تكرر ويّا الشيخ.. الناس جريت بعنيها تدور على سيدنا زباللي ومش لاقياه.. الناس بتسيب الجامع وبتجري ناحية سيدنا البلشي، بتدور على سيدنا زباللي ومش لاقياه.. بتكلم سيدنا زباللي ومش لاقية اللي يرد عليها.

النسوان خرجت في الشارع بتعيط، وطيور السطح بتخرج وياهم بتقاقي، وحمير الناس وعجولهم ومعيزهم بتكسر في بيبان زرايبهم وبتخرج في الشارع وياهم تزاحمهم في وليمة الرعب النازلة عليهم من فوق.
وساعات والناس في بلاد الله الـ"حوالينا" بتعرف بالخبر الداير في بلدنا، والناس الغُرب بتفرش في الأرض وتقعد وتنام حوالين مقامات الصالحين.
أول مرة بلدنا ألاقيها أزحم من سوق يوم الأربع، ومحدش عاد بيروح الأرض، ولا حدش عاد يتخانق أو حتى يهزر مع حد.
الناس بتصلي، الناس بتخلص جزأين قرآن في الساعة الواحدة.
ومحمد بيه الراجح ساب القصر وراح على مصر، والعمدة لابس جلابية قديمة وفارش عمة راسه فوق الأرض وقاعد على باب الجامع بيوزع أكل على الناس، ويعيط.

والناس بتسيبه وتدخل م الناحية التانية وبتقول له:
" أكلك وفلوسك حيودونا معاك النار".

الناس بتعيط أكتر ما تصلى، والواحد منهم ماشي يكلم في اللي يقابله، أيًا كان اللي يقابله، ويقول له: " سامحني"، ويرد أخينا عليه ويقول له: "... وانت كمان".
والناس الكبرات في بلدنا بتزعق ع " الشيخ محجوب" علشان ينزل من فوق المادنة بتاعة الجامع.
حاكم الشيخ محجوب هو اللي معاه مفتاح الباب اللي يوديك عالسلم اللي يخليك تطلع فوق.. قُرب السما بشوية.
والشيخ محجوب نازل زي الناس بيعيط، وتقول له الكبرات:
" يا شيخ محجوب... قولتلنا زمان الدنيا مش حتقوم قيامتها من غير علامات".
والشيخ محجوب بيزعق فيهم ويقول: "روحوا اقرولكم حبة قرآن أو صلوا وكفايه كلام، العلامات مش لازمن تيجي لحدينا، ربنا خالق في الدنيا بلاد أكتر بكتير من حوارينا".

أجدع حاجة إن الشيخ مسعود قفل الكُتّاب، والناس بصت لِقيت كل عيالها بتدفن تحت الأرض الأقلام وألواح التحفيظ وبتلعب في خرابة سيدنا الراجح.
وأما بتسأل عيل منِّيْهم: "طب ليه؟"... حيقولك:

"علشان نبقى نكمل حفظ القرآن في الجنة".
حاكم الشيخ محجوب بشر كل عيال الدنيا بدخول الجنة...
اللي يضحك إن الغفرا بتوع النقطة هما كمان عملوا زي عيال الناس، حفروا لجل ما يدفنوا بنادقهم تحت خرابة سيدنا الراجح.

والأيام في عيون الناس على غير العادة بتجري، والناس في بلدنا بتجري وراها عشان تلحقها، تخليها تهدّي شوية، تقفش في النور لجل تكّرهوا في الليل وتخليه ما يقربلوش، تمسك بسنانها وبإيديها في جلاليب الليل لجل ما يتحنط في مكانه ويتخانق ويّا النور ولا يعرفهوش.
الناس بتصلي الفجر يوماتي وتطلع تقعد حوالين الجامع مستنية الشمس تطبطب على خد الدنيا من الناحية اللي يوماتي بتطلع منِّيْها... الناحية اللي بتحضنها عنِّيْهُم لما يصلّوا، خايفين الشمس تكربج كل الدنيا على قفاها وتطلع م الجيهة اللي الناس في بلدنا اتولدوا لِقوا كل اللي يموت يسكن نواحيها.
ولاقينا يوماتي بلدنا بتتخانق ويّا النور، ويوماتي بتتخانق ويّا الضلمة، ويوماتي بتتخانق ويّا شيطانها اللي غواهم عمر بحاله وخلاهم من غير تحويشة تطبب كفة حسناتهم وتنجيها.
الدنيا بتنزف دم يوماتي لحد ما وصلت للنقطة اللي بتهتف بحياة الموت وتطرطش بسواده ماضيها.

أهل بلدنا وأهل بلاد الدنيا الــ" حوالينا " واقفين حوالين الجامع يستنوا الشيخ محجوب ينزل من فوق المادنة بتاعة الجامع لجل يصلوا الفجر بتاع ليلة الجمعة الموعودة... آخر فجر يصلّوه وتشوفه الدنيا، آخر ركعة وآخر سجدة وآخر قرآن يقروه.

والناس اتفقت حيخلّوا الشيخ محجوب يقرا القرآن في الركعة التانية ويدعي لحد قيامة الدنيا ما تطلع وتقوم.

والشيخ محجوب نازل من فوق من كتر المية اللي بتخرج من جوة عيونه وتغرق دقنه وكل هدومه.. الناس قالت يمكن محموم.

والشيخ محجوب بيرص الناس جوة الجامع ويبص ف ملامحهم على قد ما يقدر... والناس هما كمان واقفين يتلفتوا حواليهم يمكن واحد منِّيْهم يلمح آخر صورة خدتها عيون الدنيا لأبوه أو إبنه أو أخوه، لجل يخزنها ف عينه..

وتلاقي الواحد منِّيْهم بينط بودنه برة الجامع يمكن يلمح بيها آخر صوت للدمعة اللي بتصرخ على وش النسوان الــ"من دمه".

الناس حاسة وهي بترفع إيدها تكّبر إنها بتشاور للدنيا تودعها، وبعد ما ترفع إيدها ترجع تاني تنزلها وترجع ترفعها وترجع تاني تنزلها.

الناس عارفة وفاهمة إن اللحظة اللي حتبدأ فيها تصلي حتبقى بداية آخر نبتة دنيا حترويها دموعهم.

حتبقى اللحظة اللي وراها يا إمّا الجنة يا إمّا النار.

الناس خايفة...

ده الناس لما الدنيا تمطر في الشارع مع حبة رعد وبرق تلاقيهم خايفين يخرجوا من جوة الدار.

الناس افتكرت فجأة إن محدش نام ولا داق النوم من يوم الجمعة الفايتة.. الناس بتحسس نفسيها بدوخة وتقعد وتنام في مكانها.

والشيخ محجوب بعد ما خلص سورة الفاتحة وبيأمن، مبيسمعش الناس بترد وراه، وكمان مبقاش سامع صوت التوبة الخارج من جوة دموعهم.

الشيخ محجوب بيبص وراه بيلاقي كل الناس في الجامع قفلت كل عيونها ونامت، والشيخ محجوب راح ماسح كل دموعه وقاعد عالأرض ومن غير ما يحس ولا يقرر راح نايم.

وبلدنا بقت زي قرافة كبيرة.

لحد الصبح ما راح طالع ع "الدنيا" زي الصبح بتاع امبارح.

والشمس بتدخل على ناسها من الباب الرباني العادي.

والناس نايمة...

لأ...

مش عارف إن كانت نايمة وللا مش عايزة تقوم.

يمكن كانوا خايفين من تفتيحة العين لتقابل حاجة غير الدنيا.

وشوية وكل عيال الدنيا راحت قايمة بتضحك.

وشوية وجريت تلعب زي عادتها جنب خرابة سيدنا الراجح.

وشوية وجمّعوا نفسيهم لجل يصحوا الناس النايمة جوة الجامع والنسوان النايمين حواليه، وبلدنا بتصحى قرب أدان الضهر وهي بتضحك.

كل الناس في بلدنا قامت من رقدتها بتضحك وبتضرب كف بكف بتسأل وبصوت عالي :

"فين سيدنا زباللي ابن الكلب الفركوك".

كل الناس في بلدنا كانت فرحانة بتضحك، إلا عيالهم مناكيد.

جمعوا نفسيهم من تاني والواحد فيهم بيقول للتاني:

" يعني حنرجع من تاني نصحى يوماتي قرب أدان الفجر نروح كتّاب الشيخ مسعود؟".

والتاني يرد عليه ويقول:

" أنا قلمي ولوح التحفيظ حطتهم تحت الأرض وضاعوا".

كل عيال الناس في بلدنا اتفقوا يقولوا:

" اقلامهم والواح التحفيظ بلعتها الأرض وضاعت.. يمكن راحت سبقتهم ع الجنة".

والناس في بلدنا بتتخانق في الرايحة وفي الجاية.

واحدة بتتخانق مع تانية عشان الفرخة الدهبي.. والتاني بيتخانق مع جاره وبيزعق ويقول: "والله ده حماري".

وبلدنا شوية ولِقيت نفسيها في عركة كبيرة، ومحدش شاف تاني الشيخ محجوب، ومحدش شاف من تاني سيدنا زباللي.

وشوية وصوت بيزعق في الناس ويقول:

" الغفرا بتوع النقطه لساهم نايمين حوالين المادنة بتاعة الجامع".

والناس بتروح نواحيهم ضاحكين لجل يصحوهم، والغفرا يفتحوا في عنِّيْهُم فيلاقوا الدنيا لساها الدنيا.

والغفرا تفرفر من بين الناس وبتجري بتحفر في الأرض.

الغفرا بتخرج من تحت الأرض بنادق شبه النبابيت، وبيطلع ويّا الردم بتاع الحفر أقلام وألواح تحفيظ...

من يومها وكل عيال الناس في بلدنا بتكره غفرا النقطة.

إوعى تنام...

لحسن تصحى تلاقي حبيبك مش جنبك

وساعتها حتعرف إن الموت بينقي

# الحدوتة السادسة

في بلدنا اتنين مجانين.

- آسف، واحد مجنون والتاني عبيط -

المجنون كان اسمه "زغابي".

الناس بتقول إن زغابي ده مش اسمه، الواد حط علينا وهو صغير من حته اسمها "كوم السكر".

كوم السكر كانت زغابية، وبلدنا كانت أكتر من نصها هلالية، تقريبًا لِقيوا الواد مجنون فانتهزوا الفرصة وشتموا زعيم السيرة الزغابية وسموا المجنون بـــ"زغابي".

القصد...

في يوم الصبح، المادنة بتاعة الجامع كانت بتصحي الناس علشان الفجر، وزغابي داير في الشارع بيخبط ع الابواب ويزعق وينادي:

"اصحوا يا مجانين، النوم فات..

اصحوا يا مجانين، الريس مات".

وستي فهيمة تبص من البلكونة وتزعق فيه وتقول:

"ريس مين يا بن المجنونة؟"

وزغابي يرد عليها:

"الريس مات يا فهيمة".

زغابي أول واحد أشوفه ينادي عليها فهيمة كده من غير كلمة ست.

ستي فهيمة بتعيط وتصحي الدار، وتبص في عيني أنا بالذات وتقوللي:

"زغابي بيقول الريس مات".

وأفرك في عماصي وأرد عليها:

"ريس مين ع الصبح، زغابي ده مجنون".

والبت جرادة قال خايفة عليًّا وبتزعق فيا:

" اسكت يا مقامه ليأذيك على طول، ده بيخدم سيدنا البنهاوي، والود ما بينهم دايمًا موصول".

وستي فهيمة بتبكي، لساها بتبكي، والبت جرادة تعيط هي كمان وتقول: "كان راجل طيب، كان غلبان".

وانا برفع بُلغة جدي وبحدفها في راسها وبشخط فيها في نفس اللحظة: "وده مين ده يا جربان يا بنت الجربان؟".

وجرادة تولول أكتر وتقول:

"ودي عايزة نصاحة، الريس صبحي بتاع الفول".

والريس صبحي يا حضرات أصلاً ميت من أكتر من سنتين.. يمكن من قبل ما يردموا ترعة سيدي البهلول.

وستي فهيمة بدأت تتكلم ويّا الأسياد.

مقدرتش أمسك نفسي من نوبة ضحك بتلبسني في المعتاد لما البت جرادة وستي فهيمة بينصبوا معزى جوة الدار من غير أسباب، وبيدهنوا كل حيطانها سواد، وأي حمار من أهل الدار مطلوب منه غصبن عنه يقلبها حداد... مرة عشان سيدي البلشي زار ستي فهيمة ف فرشتها وكان زعلان.. أوعلشان المعزة البُني اللي عنيها بتشبه عين ستي مش عايزة تعشر وبتتنطط زي اللي ماسسها الجان.. ومرة عشان تاهمين أمي إنها عاملة حجاب للبت جرادة بوقف الحال.. أو علشان البيه الراجح عيان.. أو محمود بن الحاج علي العطار مسكوه في النقطة وحاسس إنه بيتهان.

ومفيش مرة حسيتهم زعلوا على واحد مات.

بس المرة دي... بتعدي ساعات، وبنسمع نسوان في الشارع بتصوَّت، وشوية بيجروا وبيقولوا وبصوت بيعيط: "الريس مات، الريس مات".

والراديون اللي بيقرا القرآن م الصبح بيبطل لجل ما نسمع فيه صوت بيقول " الريس مات".

من إمتى يا خلق زغابي بيطلع في الراديون ؟!.

ومحدش جري ع البلكونة، ومحدش حرك عينه من مكمنها، كلنا بنبص لحاجة مش شايفينها، كلنا بنحاول نقنع نفسينا زي البت جرادة إن الريس صبحي مماتش، وإن الناس في الشارع تقصده هو، وإن زغابى احتل الراديو ببركة سيدنا البنهاوي وقاعد فيه من جوة.

كلنا خايفين الدمعة من عينا تفر لحسن بعنينا نشوفها فنصدق إننا عشنا لحد اليوم اللي يبكينا الحزن عليه.

ستي فهيمة مبتعيطش، أمي بتدفن كل دموعها ف عين أبويا، وأنا زي الــشارب بوظة وسكران،خايف ليفوق فيلاقى زغابي مطلعلوا لسانه وشالح جلابيته وبيقول له:

" أنا مش مجنون.. الريس مات".

والبت جرادة بتضرب صدرها بإيديها وعماله تقول :

" هو الريس ياولاد بيموت ؟!".

ونفوق على هبّة ستي فهيمة بتلبس جلابيتها السودا، وبتلفح طرحتها عليها، وبتخرج حافية تلف عليهم واحد واحد.

بدأت بالبلشي وبو طاقية والبنهاوي وبخوري، وختمت بالمادنة بتاعة الجامع.

الناس في بلدنا طول عمرها مقسومة نصين: نص زغابي، وأكتر من النص هلالي.
المرة دي بلدنا اتقسمت نصين...
نص بيمشي ويّا زغابي، والنص التاني بيجري ورا ستي فهيمة.
ستي فهيمة لمت حواليها كل الجلاليب السودا، ولفت وياهم على مقامات كل الصالحين.. طلعت فوق المادنة العاليه بتاعة الجامع، وقفت فوق المنبر، مسكت في السماعة وبعزم ما فيها بتدعي:
"يا رب.. طب خد كرماني وسيبه يا رب".
وسيدي كرماني بيسمعها، يلطم على خده ويتنطط ويزعق:
"منك لله يا فهيمة، جرستيني في وسط الخلق".
وزغابي لامم حواليه رجالة كتير بيشيلوا نعش كبير باين من جواه صورة ف جسم الريس.
والجلاليب السودا رجعت لبيوتها تعيط وتصلي، والرجالة فرشوا الحصر على العتبات، الواحد يهمس في ودان التاني بحسرة عمره:
"عبد الناصر مات".
والبت جرادة ف دارنا عمالة تولول وتقول:
"والله الراجل كان زي البفته البيضا، محبوب م الناس وكويس".
وأنا قبل ما امسي لسانها ببُلغة جدي، قلت أسألها سؤال:
"تفتكري... مين يا جرادة ممكن يجيبوه يعمل ريس؟".

**سكتت حبة... وقاال إيه بتفكر، وتقول:**

**"عبّاسط، الشيخ عبّاسط طبعًا، وده برضه سؤال، هما يلاقوا زيه".**

**من يومها بعلّم في جرادة سياسة ووطنية..**

**ويوماتي بعد ما تتوسطن مندرة الدار في الفجرية تزعق وتقول:**

**"تحيا الجمهورية العربية".**

إوعى تنام ...

لحسن تصحى تلاقي الموت بيطلع في لسانه

وبيقولك ..

اعرفني , بس اوعاك تحكيني

# الحدوتة السابعة

طول عمري وأنا عايش وسط الناس اللي في بيتنا بشوف الموت من حتة بعيدة.

يمكن من بلكونة دارنا وانا بسمع صوت النسوان لما تصوَّت ورا نعش الميت... وساعات من سيرة الصالحين اللي لبانة في بق البت جرادة وستي فهيمة... ويمكن من كتب الحواديت فوق سطح الدار قبل الديك الرومي والمعزة البُني ما يهرسوا كل الناس اللي بتتكلم وتعيش وتموت جواها.

طول عمري بخاف م الموت، بالذات لما أمي بتتنرفز وبتتعصب على كل الدنيا وتدعي تقول:

"خدني يا رب وريحني".

وببص ف نفس الثانية لفوق، عند اللنضة المتعلقة في السقف، وبصوت خارج من نن عنيا بقول:

"لأ، ومقام سيدنا البلشي يا رب ما ييجي اليوم وتريحها".

طول عمري بشوف إن الموت حدوتة.. يحكوها لما العيل يغلط ويهزر ويّا الدنيا ويفضحها.

لحد في يوم..

المعزة اللي عنيها بتشبه عين ستي فهيمة سهِّتْنا وعملتها وماتت.

ماتت من غير ما تخلف عيلة تفكّر كل الناس بالعين اللي بترعب أجدع شنبات في بلدنا.

البت جرادة هي اللي اكتشفت موت المعزة، نزلت من فوق السطح تعيط، وبصوت واطي تميل على سيدي كرماني تقول له:

"الست فهيمة المعزه تعيش إنتا يا سيدي".

وسيدي كرماني بيقفل بقها بإيديه لتنين ويقرر إن محدش لازم يعرف بالكارثة لحد ما يتصرف. وأما لمحني قريب منهم حاطط وشي ف حلة محشي وبستهبل، إتأكد إني سمعت كلامهم راح قايل:

"إوعاك يا مقامه تقول لامك أو أبوك أو حتى الست فهيمة لحسن تحصل محزنة في الدار ومحدش ناقص"

وانا زي العادة بهز في راسي، قال يعني موافق، وبقول له:

"خلاص.. ولا حد حيعرف خالص".

وبنسمع زفة مولد سيدنا بخوري بتلف الشارع، والزفة زمان كانت بتضحكني، بتخليني أفطس على روحي من كتر الضحك.

كنت بشوف ناس عمالة بترقص وتطبل راكبين حناطير وخيول وحمير وجمال، وتزعق وتقرب من عتبات الناس وتقول:

" الفاتحة للحاج فلان، الفاتحة للست فلانة ربنا يرحمها ".

واصحاب العتبة بيفرحوا موت وبيبعتوا للناس اللي بترقص وتقول أسماء أمواتهم شلنات وبرايز.

كنت أضحك لما ألمحهم جايبين عيل من سني ولابس أبيض ف أبيض، فوق راسه عِمة طويلة خضرا وشال، ويقولوا ده بركة وم السلسال، وتبص ف وش الواد تلاقيه قرفان مرعوب بيزعق ويقول: "مش عايز".

واما كبرت شوية كنت بخاف م الزفة بتاعة المولد، كنت بخاف من أعلام في إيدين الناس مرسوم فيها حروف ونقوش مش مفهومة، ولا زي اللي اترسمت في الكراريس.

كنت بخاف من لبس غريب بيفكرني بصورة العفاريت والجن اللي بترسمها الحواديت بالليل تحت لحافي.

القصد..

قلت لسيدي كرماني وانا بضحك : " هات قرشين أنزل ع الزفة واخليهم يقروا الفاتحة لستي فهيمة المعزة".

وقبل ما تتمد إيديه على وشي؛ بيكتفها الصوت الطالع من أوضة ستي فهيمة يقول:

"خد يا مقامه... تعالى عايزاك".

وبجري عليها أهدد سيدي وأقول له:

"هات القرشين لحسن والنعمة أقول"..

وبخدهم منه وبدخل على ستي فهيمة ألاقيها مادّة إيديها بربع جنيه صِحيح، وتقول لي:

"روح للشيخ درديري خادم سيدنا بخوري، اديله الربع جنيه وقول له : اقرأ الفاتحة لستي فهيمة"..

يا خرابي، ربع جنيه بحاله، هو حيقرا المصحف كله؟!..

وأنا مالي..

وجريت على حسني بتاع التموين، خليته يفك الربع جنيه شلنات..

ورجعت أشاور للزفة...

يلمحني الشيخ درديري ويمد إديه ويسألني:

"إيه يا مقامه.. عايز ندعي نقول إيه؟.."

وبرد عليه وأنا مادد إيدي بشلنين:

"ستي فهيمة قالتلي أقولك، اقرالها الفاتحة... مش مرة... اتنين".

وبيستغرب ويقول:

"وده برضه كلام يا مقامه؟ بتفول على ستك ليه، ربنا يا بني يديها الصحه وطولة العمر".

وبرد عليه:

"عندك حق يا شيخ والله"...

وبرجّع إيدي في جيبي من غير ما اديلو فلوس، والشيخ درديري بيقفش فيها زي العفريت في الحدوتة مايقفش في الدنيا لما بيخرج من جوة فانوس.

ويرد عليًّا وهو بيضحك بالكدب وضارب بوز:

"لأ يا مقامه يا ابني ما هي برضه الفاتحة ع الحي تجوز".

وبيرفع صوته ناحية عتبة دارنا ويدعي:

" الفاتحة لست الستات، الست فهيمة، ربنا يديها الصحة وطولة العمر".

وف نفس الثانية بيطلع صوت من جوة الدار، البت جرادة بترقع بالصوت الحياني، والناس بتسيب الزفة، وعلى عتبة بيتنا بتتلم.

معرفتش أخش الدار م الزحمة، لفيت...، نطيت من شباك الدار الوراني، ولاقيت الناس على عتبة أوضة ستي فهيمة بتتشحتف وتعيط وتصوَّت.

والبت جرادة وأبويا وجدي واقفين على راسها بيقروا القرآن، جدي بيلمحني في وسط النسوان وينادي عليًّا:

"تعالى يا مقامه سلم على ستك قبل ما تتغسّل وتسيبنا".

ولاقيتها مغطية دماغها ومش شايفاني.

قلت له: "خليها تشوفني يا سيدي".

ورد وقال:

"شايفاك.. كلمها، قل لها في الجنة يا ستي إن شاء الله".

مش عارف ليه معرفتش أعيط... كان متهيألي إن أكيد فيه حل، إن أبويا حيضحك بعد شوية ويحضن فيَّا يقول:

"كنا بنضحك وياك يا عبيط".

أو أمي حترجع م السوق بعد شوية وتزعق فيا:

"يا حمار ستك نايمة... شوية وحتقوم".

كان متهيألي إنى حغمض عيني وأفتحها ألاقي الزحمة وكل عياط النسوان علشان المعزة..

عمري ما شفت بعيني جتة بني آدم ميت، على طول كنت بشوف الموت في الصوت الطالع من بق النسوان.

المرة دي، فتحت عنيا وركزت شوية لاقيت بيني وبين فرشة ستي سور كله قزاز ف قزاز..

لأ.. م الجنب بتاعي قزاز مرشوش بالمية، والجنب التانى قزاز مش شايف غير حبة ضلمة.

مسحت بإيدي عنيا لاقيتني بعيط.. ولمحت ف وسط الزحمة الشيخ درديري بتاع الزفة رافع ف إيديه جنب عنيه وبيدعي، رحت مفضي جيوبي وناولته بقية الربع جنيه وقرشين سيدي وقلت:

"ومقام سيدنا بخوري يا شيخ، اقرا الفاتحة لستي فهيمة".

والشيخ درديري بيرفض ياخد مني فلوس.. رجّع إيدي وقال لي:
" إمسك مصحف واقعد على راسها، اقرا القرآن وادعيلها ".

ومسكت ف جلابية سيدي، مش عارف كنت ساعتها بعيط ولاّ بصوَّت ولاّ مبلم، وقلت لــ سيدي:
" عايز أشوفها، وغلاوة ستي نعيمة المايصة يا سيدي لشوفها ".
وقبل ما اخلص اسم نعيمة؛ كان سيدي بيكتم بقي بإيد والايد التانية تشيل الغطا من على ستي.
ولاقيتها عنيها مقفولة، مش نفس القفلة بتاعة النوم العادي، فيه حاجة كبيرة بتخرج من بين شفايفها بتتكلم مع لنضة سقف الأوضة.. فيه حاجة مكتفة دراعاتها وبتزغزغ شفايفها.. فيه صوت مكتوم خارج مع طيف الضحكة المرسومة في ملامحها.
الصوت لأول مرة ف عمر الدنيا يزعق فيّا بصوت واطي يقول لي:
" احكينا ".
ولأول مرة ف عمر الدنيا بعيط من كتر الحب.

وبنسمع فجأة صويت طازة لساه خارج من كرتونة الحزن المتجدد والصوت كان ناطط من فوق السطح..
وبنجري نلاقي أمي رجعت م السوق، قاعدة تصرخ وتصوَّت وتعيط قدام جتة ستي فهيمة المعزة!.

إوعى تنام...

لحسن تصحى تلاقي إيديك مرعوشة من الخوف

ومراية وشك بتبص عليك..

بس بترسم وش حمار

# الحدوتة التامنة

بتقول الحدوتة..

إن أسيادنا: الراجح والبنهاوي وبخوري والبلشي وأبو سريع، اتجمعوا قبل الفجرية ف يوم وسط الجرن بتاع سيدنا الراجح.

والنور كان طالع من جوة حباب عِنِيْهُم عواميد توصل أرض بلدنا بخيوط النور اللي بتخرج من جوة الدايرة البيضا المتعلقة في السما من فوق.

الحدوتة بتقول:

يومها السما كانت مليانة بورد بيلمع وسحاب أبيض شفاف وروايح. والهوا كان عامل زي النسمه الرايقه اللي تهف يوماتي على وشوش الناس اللي تْقَيِّل حبة قصاد ترعة سيدي البهلول.

والكروان بيصبح ع الناس والدنيا بتسبيحه الحلو الموصول.

والناس نايمة، والمادنة بتاعة الجامع بتأخر قرآن الفجر شوية.

وأسيادنا بيلفوا بنورهم على كل مكان ف بلدنا، ماشيين.. فوق الأرض بشبرين... لحد ما وقفوا قصاد باب الشيخ صياح.

والشيخ صياح واحد من سلسال سيدنا الراجح، بيحفّظ كل عيال الدنيا القرآن، بيجّوز ويطلّق كل الناس في بلدنا، بيفك المربوط ليلة الدخلة، وعنيه على طول مقفوله زي الواحد لما يكون نعسان.

برضك كان الشيخ صياح فلاح.

أيوه صحيح.. لا حداه دار ملك ولا فدادين، بس مربي في داره جاموسة ومعزة وركوبة وخروفين، ومأجر قيراطين طين.

والشيخ صياح أول ما الدقن ابيضت ومسك في إيديه عكاز، الناس في الرايحة وفى الجاية تبوس في إيديه طالبين البركة ومداد الوصل بسيدنا الراجح.

الناس بتقول إن عنيه بتطلّع نور أبيض م اللي بيخرج م اللنضة بتاعة الجاز.

والناس برضك بتقول إن أسيادنا في الليلة إياها فاتوا عليه وصحوه من نومته واتسامروا معاه، وبكف الخير والبركة ملّسوا على راس ابنه محمد ودعوله بمدد القيمة وكتر الهيبة ف وسط الخلق.

والناس برضك بتقول إن أسيادنا الصالحين فاتوا للشيخ صياح شوالين دهب أحمر أحسن بكتير م الدهب الميري.

والحدوتة دي يا حضرات كل الناس في بلدنا بتحكيها مع كل انتخابات للمجلس وعيالهم أول ماتخش الكتّاب تحفظها زي عنيها. الحدوتة بتتكرر لجل ما يعرف كل الناس في بلدنا وفى بلاد الجيهة الـــ حوالينا إن محمد بيه الراجح يرجع أصله لسيدنا الراجح، إن محمد بيه الراجح راجل مبروك، إن القصر بتاع البيه واصل بمقام الراجح، والمال المتستف مال طاهر، والعضوية كرامة، والهيبة وود الناس الواصلين علامات للرضا والنور.

والانتخابات لما معادها يقرب في بلدنا بتلاقي وشوش صحيت م الموت، ناس بتغيب من قدام الناس لسنين وبيرجعوا وقت الهوجة لجل ما يهتفوا بحياة البيه.

لكن المرة دي الناس سمعت أغرب حاجة ف دنيتهم، واحد مترشح قدام البيه...

والناس تستغرب وتقول:

"ده أكيد مجنون، لا يكنش زغابى عملها ورشح نفسيه".

بس الناس ترجع تستغرب أكتر، المترشح قدام البيه راجل متعلم متنور، والناس بتحبه وبتحب أبوه وأمه وستو.

معقول يا ولاد سلسال الست فهيمة يطلع مجانين ؟! ومقامه أفندي زينة الزينة يضيّع نفسه ويتمرد ع "السلسال" الطاهر ؟!.

والناس في بلدنا يا حضرات اتقسمت ييجي خمسين حتة.
شوية بيترحموا على ستي فهيمة العاقلة.
وشوية بيعتبوا على روحها عشان ماتت من غير ما تربيني.
وشوية يمصمصوا شفايفهم ويقولوا:
"حرام... والنبي كان زي البفتة البيضة".
وشوية يلموا ف بعضيهم جماعات لجل ما يقنعوا فيا أبطل شغل جنان البندر.
وشوية يسبوني، وغيرهم يتريق ويقول:
"يستاهل، مش عامل فيها خوجة ومتنور".

لكن أكتر حاجة الناس اتغاظت منِّيْها اليافطة اللي لطعتها على بلكونة دارنا، وأكيد مش حتعدي عليكم كلمة بلكونة كده بالساهل من غير ما تحسوا بقيمة الكلمة.

القصد...

الناس راحت لجناب البيه تسترضيه لجل ما يقلبش عليهم، لجل أما يفرق بين أهل بلدنا الطايعين وما بين الواد ابن فهيمة الــ" آل إيه " متنور ف مدارس البندر.
آه... وعم الشيخ عب مقصود، أكبر راس في ولاد عب مقصود عايب ع البيه إنه سمح لولاد الهرمة يشوفوا البندر من أصله.

وجناب البيه بالراااحة، وبنفس الضحكة المرسومة ف وشه؛ يرد عليهم ويقول:
"رَبُّوه".

والناس الهتيفه بتلف بلدنا تخرج ف الناس ع الشارع لجل أما يربوا ابن الكلب ابن فهيمة، أما يخلوه يحترم الهيبه بتاعة سيدنا الراجح، وما يتسببش ف لعنة كبيرة تنزل على أرض بلدنا تولع فيها.
والناس في بلدنا، كل الناس ف بلدنا اتلمت حوالين الدار، شايلين الطوب والشوم ومشاعل النار.
والبت جرادة تولول، وتصرخ، وبتشؤل وشى بلمبة جاز وتقوللي:
"منك لله يا مقامه، بتناطح سيدنا البيه، غضب الراجح بيحل علينا، الناس حتولع فينا".
وقبل ما توصل كلمتها لودني بنسمع صوت الطوب اللي بيضرب في الطوب بيطرقع في ودانا. وبنسمع صوت الشوم بتدبدب في الأرض تصحي النايم في نواحي قبلي، وأصوات الناس الهتيفة بتخرج من بين الناس بتقول:
"نحرق في الدار ونولع فيهم جواها".

يا نهار والع، حيولعوا ف ولادي وف مراتي وف البت جرادة الله يجحمها.

يا نهار يا ولاااد، ده أنا كان قصدي أصحي الناس من نومها، كنت أقصد أقول للناس: ربنا فوق يا بهايم مش تحت.
كنت أقصد أقول للبيه: يومك قرب يا جنابه...

واتشهدت... وقريت اللي حفظته في عمري من القرآن ييجي عشرين مرة، وحضنت ولادي، وبصيت لمراتي وللبت جرادة، وقلت لهم سامحوني.
وفجأه أصوات الموت بتبطل، آه والنعمة، بتبطل خالص...
وأنا بستغرب، هو الموت بيغير رأيه؟
أنا ولا نوح ولا لوط ولا موسى عشان ربنا يخسف بيهم الأرض.
القصد...
بصيت من خرم صغير من وَرْب البلكونة، لاقيت البيه بيأمرهم بالضحكة الملطوعة ف وشه وبيقول للناس:
"سيبوا الراجل وعياله، أنا عمري ما حتسبب في أذية حد".
والهتيفة بتهتف، والنسوان متأثرة بقرار العفو وبتعيط، والناس شايلاه فوق دماغتها ورايحين بيه ع القصر وبيقولوا:
"بالروح... بالدم... نفديك يا جناب البيه"
"بالروح... بالدم... جدك حاطك ف عنيه"

الناس في بلدنا لساهم مش فاهمين الحواديت.

إوعى تنام...

لحسن تصحى تلاقي الكرباج لونه اتغير

فتفكر ثانية إن الكرباج مبقاش كرباج

# الحدوتة التاسعة

**معلومة مهمة جدًا...**

**محمد بيه الراجح بيبيع القصر، وفدادين الأرض.**

**معلومة أهم...**

**محمد بيه الراجح ناوي يهاجر لبلاد برة وحيسيب العضوية للعرض**

**معلومه تغم...**

**بيه تاني - بيقولوا اسمه محروس بيه - راح يشتري منه الطين والقصر.**

**معلومه تشل...**

**محروس بيه راح يشتري منه العضوية ويصبح نايب عنينا بجمالة القهر.**

**التفاصيل :**

**محمد بيه الراجح بيلف برجليه، آه والنعمة برجليه؛ على عتبات دورنا، عتبة عتبة.**

**بيسلم على كل الناس... المبسوط فيهم والمحتاس.**

**والناس في الشارع بتبوس في إيديه وتعاتبه :**

**"حتسيبنا يا سعادة البيه".**

**والبيه يضحك ويرد عليهم:**

**"رايح لولادي في بلاد برة أموت وسطيهم".**

**والناس بتعيط وتقول له:**

**"طب والراجح يا جناب البيه".**

**والبيه يضحك أكتر ويرد عليهم:**

**"بركاته معاكم حتحل عليكم، الله يخليكم ليّا ويخليه ليكم".**

**بيني وبينكم الناس في بلدنا كانت فرحانة.**

**بينى وبينكم قلت بلاها سلامي عليه، والله ما انا واقف على عتبة دارنا، والله لا انا قافل بابي وبلكونتي وحالف على بنتي ومراتي والبت جرادة؛ محدش حيخطي العتبة، ولا حد حيتفرج ع الزفة الدايرة في كل مكان... وجرادة تعيط.**

**وجرادة زي ما حضراتكم عارفين غاليه عليًّا، كفاية إنها من ريحة ستي وأمي وأبويا وهديتهم ليًّا.**

قلتلها : "اخرجي يا جرادة اتباركي بسيدنا البيه".
أصل الناس في بلدنا غلابة بيتباركوا بالمجانين وأصحاب العمة وأصحاب المال؛ حتى لو كانوا من غير ذمة.

وتلف الأيام وبلدنا غريبة، زي المية الحلوة لما تسافر وقت الفيضان للغربة في وسط المالح، بتحس بوحشة غريبة، بتحس إنها محتاجة تموت لجل ما تتخلص من ذل الأسر المُر.
بتلف الأيام وبلدنا مش لاقية كبير يتربع على عرش استعباد الخلق الغلبانة، والناس ماشية في وسط الشارع حاسة انها ملكت دوار العُمُوديه واستغنت عن كل جحور العبودية.
بتلف أيام وبلدنا بتهمس عن محروس حيحل محل الراجح، بيقولوا الراجح باع له مقام جده وحتى خرابته الواسعة.

أيام والناس في بلدنا بتصحى تلاقي مقامه اتساوى بالأرض، والسور العيان اتهد وأوناش ياما بتنزح كل زبالة التل.
المنظر من بلكونة دارنا اتغير، المنظر بقى زي الفل.

شهور وشهور والمنظر بقى قصر كبير يحرم بلكونة دارنا تشوف المادنة بتاعة الجامع.
فكرني المنظر بالموت.
وعرفت إن الموت مش بس ملامح ستي فهيمة وهي بتتخانق ويا الضلمة، ولا بس البت جرادة وهي بترقع بالصوت.

وعرفت إن الموت بيلون وشه بألوان الفُرقة، والفُرقه ألوانها كتيرة، أكتر من كل وشوش الفرحة لما بيتلاقى اتنين من بعد الغربة.

الناس اتشائمت من هد مقام الجد، الناس كرهت سيرة الراجح، والنسوان بتقول : "لعنة ربنا حتكون الرد".
والبت جرادة لبست خلخال الحكمة وهتفت وسط الدار:
"دي علامة من علامات العار، والساكت حيروح النار".

الناس مستنية البيه محروس، الناس زهقت من تمثيل أدوار الكبرا.. الناس محتاجة من تاني تطاطى وتحني الروس.. الناس في بلدنا محتاجة لإيد تسعد أنفاسهم بالبوس، ولرجل بتلبس لميع على أحلامهم تهرس وتدوس.

الناس صحيت من نومها في يوم جمعة لقيت زفة كبيرة بتذيع البشرى، البيه محروس حيلف برجليه على عتباتنا، عتبة عتبة، حيسلم على كل الناس؛ المبسوط فيهم والمحتاس.
بعد صلاة الجمعة بساعتين، الناس اترصت قدام العتبات، وعيونها بتستنى اللحظة اللي تهلل فيها برؤية راجل مش عارفينه جاي منين... مش عارفين إذا كان له حدانا مقام يرعاه وتحل علينا البركة معاه، ولاّ البيه جاي لينا من مصر، جاي يهزر، يشترى قصر ويبني في قصر.

من تاني..

قلت بلاها سلامي عليه، والله ما انا واقف على عتبة دارنا، والله لانا قافل بابي وبلكونتي وحالف على بنتي ومراتي محدش حيخطي العتبة، ولا حد حيتفرج ع الزفة الدايرة في كل مكان.

وجرادة تعيط.. والمرة دي جرادة مش عايزة تشوف البيه، بتقول: " ستي فهيمة الله يرحمها ويجعل مثواها الجنة كانت بتحب البيه الراجح، كانت بتحب مقام بو طاقية، كانت بتحب تأدن ويّا االصوت الطالع م المادنة بتاعة الجامع في الفجرية".

م الآخر... البت جرادة كرهت محروس بيه من غير ما تشوفه وبتتحسر على أيام الراجح؛ مع إنها عاتبة عليه إنه يفرط في مقام جده ويهد كيان البركة اللي كنوز الدنيا بحالها مبتقدرش تنوله.

أصوات من برة الباب بتزعق وتنادي:

"يا مقامه أفندي... يا مقامه افندي....

محروس بيه عارفك... محروس بيه جايلك مخصوص"

والبت جرادة بتفرح وبتمسح دمعتها وبتقول:

"ربك جابر يا مقامه، يقطع وبيوصل بميزان مدروس".

والهبلة بتجري ناحية صوت الباب الزاعق وبتفتح مع زغرودة قوية تقطعها بقولها: "اتفضل سيدي البيه، اتفضل يا جنابه".

آه يا بنت الكلب يا قلابة، في ثانية الدمعة اتقلبت زغروتة؟.. في ثانية نسيتي الراجح والبركة وستي فهيمة وكل بداية الحدوتة؟.

ووقففت أسلم ع البيه الزاير، واستغربت كتير إنه بيحضني وعارف اسمي وبيعزمني في قصره الطاير.
وحاولت أزوغ منه وأتأسف له وأتحجج بالضغط الفاير.
ولاقيته بيرفع صوته في وسط الناس الماشيين وياه في الزفة وبيقول: "يا مقامه أفندى، حستناك، مش حقبل أعذار، عيييب، ده القصر يا راجل قدام الدار".

وبيمشي البيه ناحية قصره في وسط الناس، وأنا بلمح أغرب حاجة في كل الموضوع... "البيه محروس، بيعرج ويزك برجليه".
والبت جرادة بتاخد بالها وتغزل من تاني ف عناقيد الحكمة وبتحضن وزة وبتقول:
"يا خرابي... مكسح، يا عين أمك يا سعادة البيه، صحيح يا ولاد الدنيا ميزان متعلق في السما بخيوط، الدمع في كفة والضحكة في كفة والبني آدم بينهم مربوط".
وحياة أمك يا حكيمة، وده وقته، دلوقتي تقولي أنا كنت بكلم ستي فهيمة، دلوقتي تقولي روحها حلت في الوزة وكانت بترد عليكي.
إلهي تولعي وأخلص من قرفك وأفرح فيكي.

بعديها بيوم بصيت ولاقيت اتنين شبه البهوات جايين ياخدوني لمحروس بيه.. بيني وبينكم الفار في ثواني خد كاس العالم في وداني وقاعد بيقرقض فيها.. بيني وبينكم منطقتش ومشيت وياهم

خطوة وتانية ولاقيتني جوة القصر معاهم، ولاقيت البيه مستني وصولي على باب القصر اللي يرد الروح.

أول ما لاقيته قدامي قلت: "يا بيه تعرفنى منين؟"

رد عليَّا وقال:

" جرى إيه يا مقامه، مخك فين، ارجع بالعمر شوية، ارجع عشرين... تلاتين..

غفرا النقطة وبنادقهم،وكلاب الشارع تهرب منِّيْهم ناحية كوم التل، والناس الفتانة، والكلبة اللي اختارت عتبة داركم علشان تتخانق ويّا الفجر، ارجع يا مقامه لعيل كان بيمسي يوماتي عليك بالضحكة، عيل شفته من فوق بلكونة داركوا هربان من غفرا النقطه الـــ "مالهم قلب"، هربان من نبابيت عميانة بتساوي بينه وبين الكلب".

وقطعت كلامه وحضنت إيديه وصرخت في وشه:

"فارس.. الواد الشايل رجليه في إيديه".

رد عليَّا بسرعه وقال : "محروس... بيه".

وضحكت.. ودخلت معاه القصر.

معلومة أخيرة....

كل حيطان القصر متغطية بتصاوير حقيقية بالطول والعرض، لكلاب جربانة بتجري وسط زبالة التل، م السقف لحد الأرض!.

إوعى تنام ...

لحسن تصحى تلاقي لسانك حابب صوت الضلمة

وبيشتم نور الشمس في عز الحلم ..

يمكن تصحى تلاقي لسانك عاجز ينطق كلمة (لأ )

# الحدوتة العاشرة

**الناس في بلدنا لما بتتخانق عمرها ما تروح ع النُقطة، لحسن تبقى العيبة كبيرة في حق الباشا النايب والبيه العمدة.**

**الناس في بلدنا لما تحب تموّت حد تستأذن لأول م البيه النايب ومن العمدة.**

**لما بتسرق حد بتقسم على طول وياهم.**

**لما تحب أذية حد بتطلب ده بكل صراحة من مقامات الصالحين، وف آخر الدعوة بتقرا الفاتحة و"يس".**

**الناس في بلدنا كانت لما تعدي بأي ركوبة من قدام قصر البيه أو دوار العمدة تنزل من فوقها وتجري وراها وهي بتزغر لها بالبصة المكتومة وتقول:**

**"شيييييييه، متبصيش حواليكى، يلعن صاحبك".**

الناس كانت بتخاف، الناس أصلاً كانت عايزة تخاف.

الخوف عنديهم كان زي الطين الورث اللي يحافظوا عليه بالدم حتى لو صابه العقم وتجريف الخير.

البيه النايب عمره ما كان بيزعل حد بنفسه وعمره ما كان حدًا يزعل مِنِّيه غُفَرَا توزع على أحلام الناس الموت وتلبسهم عمم النوم الطوالى.

بس العمدة كان بينفذ كل أوامره.

وعشان كده كنت تلاقى الناس؛ كل الناس؛ تكره سيرة العمدة وتحب البيه النايب وبتدعيلوا، والأغرب إن الدنيا لما تضيق في عيونهم طوالي بيجروا ناحية قصر البيه.

والبيه النايب راجل طيب، دايمًا يسمع شكاويهم، ودايمًا يلعن في جدود العمدة قدام منِّيْهم وبيوعدهم إنه بنفسه حيتدخل.

بأمانة البيه كان دايمًا طيب.

مرة يطلّع من حبس الغفرا راجل مسجون بالظلم.

ومرة يجوّز بالعافيه الشيخ مخيون - شيخ الغفرا - لعيلة غلبانة بتسرح ببخور في المولد، لما الناس في بلدنا هاجت واتلمت حوالين البيه بتبوس في إيديه وتقول له: "إلا الأعراض يا جنابه".

ومره يرجّع للواد محفوظ ابن نوارس النص قيراط الورث، الـــ" كان" هربان منيه، ولاقوه متخفي في دُرَة أرض العمدة.

بس الناس كانت دايمًا تسأل نفسيها: طب ليه البيه مبيطردش العمده وشيخ غفره، ليه مايخلصش الناس من ظلمه وشره.

البيه أغنى كتير م العمدة، البيه واصل عند الكبرات اللي ف مصر اللي الناس بتشوفهم في الراديو..

طب ليه مبيطردش العمدة؟ طب حتى الغفرا؟

لحد اليوم اللي الناس في بلدنا زهقت من كتر الـ"ليه....."

كل اللي اتهان وانداس بالصرمة اتجمع.. كل اللي اتهلب واتقيد بالظلم.

أجيال طلعت للدنيا مفطومة بصرخة جوع أو ذل، ناس ليهم ناس ماتوا من الحسره ومن لون الدم..

الكل اتجمع، الكل مقرر، الكل مسلح نفسه لحرب الشوم ومناجل حش البرسيم.

حتى النسوان، والشيخ مسعود وزباللى وشيخ الجامع، ده حتى زغابى مشلح جلابيته بيهتف في الثوار:

"طراطير طراطير... طراطير يا ناس طراطير".

واللمة بتاعة الناس كانت عاملة زي الزفة بتاعة المولد، مليانة أعلام ودفوف وحمير وجمال ومناظر ناس دقنها متدروش من تقل الحمل وطولة الصبر.

الزفة بتتجمع حوالين القصر بتاع البيه، رافعين الشيخ مسعود فوق روسهم، والشيخ مسعود بينادي، وبينادي...

والبيه خارج بيطل عليهم من فوق كراماته، بيطل عليهم من بلكونته بنفس الطيبة المعهودة.

وبأدب الدنيا، الشيخ مسعود رافع ايده لجل ما يسمح ليه البيه بالكلمة... والشيخ مسعود ومعاه الناس طالبين الإذن من البيه علشان ياخدوا بتارهم م العمدة.

والناس تهتف وتقول:

"يموت.. يموت... يموت".

والبيه طيب، بيحافظ ع البسمة اللي في وشه وبيوافق بعد ما بيفكر حبة وبيقول:

"يستاهل... راجل ظالم وضلالي ومجنون"

والبيه يستنى شوية ويسأل:

"مين راح يبقى عليكم عمدة؟"

والناس تتلفت حواليها.. واقفه بتسأل بعضيها:

"أيوة صحيح، مين راح يصبح عمدة علينا؟"

الناس حيرانة وفي عيونها كلام للشيخ مسعود، والشيخ مسعود رافض أي كلام في الموضوع وبيصرخ فيهم:

"محدش علمهالنا ف الأزهر يا اخوانا، وغلاوة سيدنا الراجح ما أعرف تتكتب إزاي كلمة عمودية".

والناس من تاني بتتلفت حواليها.. بتدور على حد يوافق.

شيخ الجامع وزباللى بيتدارو في جلاليب النسوان... حتى زغابي شلح جلابيته وفلق وبيصرخ في الناس:

"جرى إيه يا طراطير؟ ده انا مجنون... مجنون".

والناس من تاني تلف عنيها لمقام بلكونة البيه، تستنى قراره ومشورته.

والبيه لساه طيب بالضحكة المرسومة في وشه.. والبيه بيزعق فيهم ويقول:

"طب إيه رأيكوا في الشيخ مخيون؟"

مش راح أكمل تفاصيل الحدوتة...

بس حنور حضراتكم بالخاتمة..

محدش في بلدنا قتل العمدة.

البيه النايب - الله يعمر بيته - طلّع من جيبه أكتر من عشرة جنيه لمراة الشيخ مسعود بعد ما مات برصاصه عبيطة كانت في طريقها لكلب شوارع، بس الشيخ الله يرحمه، عمل دماغه بعقل الطلقة!.

إوعى تنام ...

لحسن تصحى تلاقي الحدوته طويلة ..

أطول بكتير من عمرك

ساعتها اكتب توكيل ..

بتفوض فيه النسيان .. إنه يفكر بيك الموت

## الخاتمة

# كده برضه يا مصر ؟

كده برضه يا مصر، وهنت عليكي؟...

شكلك مش عارفاني، مش فاكراني، مش قادرة تبصي لجوفك لجل أما تدوري على حبل الصرة اللي بيوصل عمري بمصارينى.

كده برضه يا مصر، ومش فاكراني؟...

مش فاكرة الواد التختوخ اللي أما اتعلم ضمة صباعينه اتعلم وياها يخط الرسمة اللي بتملاها حروفك.

الواد الكلبوظ أبو كرش اللي أما اتعلم يقرا كتابه ويفتح كراسته كان متخيل إنك شايفاه، إن الدنيا بحالها بتتغزل في جمالك وبتدفى في حضنك وياه.

الواد أبو حسنة مدورة جنب عنيه، اللي أمه قالتله وهو صغير، أصغر م القطه بحبة:

" الحسنة هي الميم.. وجراب النني بيرسم صاد.. والسحبة بتاعة أرنبة الودن بتعمل ره أحسن بكتير م اللي بتكتبها الأبلة في اسمك ع الكشكول".

شاكلك لساكي بتفتكريني... أرجوكي افتكري..
أنا واحد م اللي اتربوا في حضن الحُبّ اللي بحجم حلاوة بنوتة بتخرج بعد أدان الفجر بتجري لجل ما تلحق ليها مكان في التختي الأولانية.. حُبّ بطول البصة اللي مداها قصير من عيل شايف أخر الدنيا جنب الإيد اللي بتضرب جرس الفسحة.
أنا واحد م اللي قالولهم في طابور الصبح يوماتي وبعد التكبير نهتف بحياتك.

أرجوكي افتكري..

طب فاكرة أما طلعت الأول ونجحت في ساته، لما الناظر سلمني الجايزة في وسط الحوش.. أيوة، القلمين فولوماستر والبراية والقلم اللي الناس كانت فاكراه مستورد وبيتصنع في فرنسا، بس أما كبرت عرفت إنه أصيل من حبرك ومأصل.
فاكرة؟...
يوميها الناظر قاللي؛ وكل بنات الدنيا بتسمع:
" شاطر، والله براوة عليك، عايزك تتشطر أكتر، تكبر أكتر، تنفع بلدك أكتر وأكتر ".
وساعتها أنا شفتك قدامي، مبتسمة، والنعمة أنا شفتك كنتي بتضحكي في عنيا.

دققت في وشك لأول مرة في عمري اللي بيحبي، ولمحت عليه الأبلة رباب ماسكة عصاية وبتشاور، على نور وخضار وصفار وعرق، على بركة دم بتخرج من جوفك، على مادنة جامع بتكبّر وصليب بيحبك وينور.

وف إيد الأبله رباب التانية لمحت كتاب مليان أسرار، مليان حواديت، مليان تفاصيل عن كل عيالك وعيال عيالك وعيال عيال عيالك، ولمحت وشوش أعرفها ووشوش معرفهاش ووشوش شفتها متعلقه على حيطة دارنا.

طب عارفة...

لمحت الست عجينة بتاعة الطعمية، أيوه أنا عارف، اسمها أصلاً حسنية، بس عيال الحتة الشياطين بينادوا عليها يقولوا يا ست عجينة.

إيه ؟.. لأ والله، عمري ما شفتها زعلانة، دي بتفرح والنعمة، دي حتى اللي يقوللها يا عجينة تطرطشه بالزيت اللي مولع وبتجري وراه وهي بتضحك وتقوم حدفاه بالقلاية...

أيوه لمحت الست عجينة، مرسومة بتفاصيلها ف صفحة كبيرة جوة كتاب الأبلة رباب... شعرها لابيض منكوش مفلوق من نص دماغها، وعامل مجرى زي قناية عم إمام، وعنيها اللي الناس قالوا عنها ابيضت من حمو النار، والوش المليان تجاعيد وخطوط شبه اللي نشوفها جوة خرايط متعلقة على حيطة أوضة الناظر.

طب عارفة...

والنعمة لمحت بمناخيري ريحة الطعمية السخنة.

هاه، مش فاكراني؟.... طب أقولك إيه؟

طب وغلاوة النيل مش فاكرة الواد اللي اتغزل فيكي بشعر كبيبير؟

أكبر مني بميت سنه حب؟

آه... لما وقفت وقلته ف وسط الحوش وانا لامحك واقفة بعيد، وعيال المدرسة بتسقف، والناظر بيهزر ويايا ويسألني: " وده شعرك؟ "

وبهز ف راسي بفرحة كبيرة وأقول له: " آه شعري ".

سكت الناظر حبة، وبعديها الخرزانة بتاعته بدأت تتكلم ويايا وترد عليَّا، والخرزانه بتاعة الناظر طلعت رغاية.

أتاري الشعر اللي انا قلته مكتوب بالخط الحياني ومتعلق على حيطة في ركن ف أوضة الناظر، وقالوا عليَّا حرامي، وأنا بصرخ فيهم طب ليه، ما الشاعر مات.

ولاقيتك واقفه فوقيهم تبتسميلي.. وسألتك: " هو أما الواحد يعشق حد بشعر ويتمنى يكون خارج منيه يبقى حرامي؟ ".

فاكرة؟...

لاقيتك طبطبتي عليَّا وملستيلي ف شعري الأكرت ومسحتي عياطي وبوستيني.

**ومن يومها وبتعلم شعر عشان أحبك زي كلام الشاعر ف الأوضة بتاعة الناظر.**

**هاه... فاكراني؟**

**يا نهار يا ولاد.. برضك مش فاكراني؟...**

**كده برضه يا مصر وهنت عليكي؟**

**بس إزاي مش فاكرة؟**

**أيوه صحيح ما لمحتش صورتي بتفاصيلها جوة كتاب الأبلة رباب، ولا حتى لاقيتك كاتباني هناك جنب الناس الــ مالو هدومهم اللي بنوكي وعلوا في سيرتك وحموكي.. بس أنا برضك واحد منِّيْهم، واحد م اللي بيرسموا بالاحمر براويز حوالين الصورة، وأنا أصلاً واحد من دمك، غصبن عني صاحي ونايم شارب من همك، غصبن عن عمري قالولي: " انت وعمرك ليها ".**

**فكتبت الصك بإيدي اللي بقولك فيه إني ابنك، حقك، بتمنى أتمرمغ في ترابك، واتمنى أكون خط صغير في الصورة المرسومة لوشك.**

**طب فاكرة؟**

**قعدت سنين وسنين أدرس فيك، في تاريخك، في الأرض اللي بتشرب من نيلك، والتانية اللي بتستنى الدنيا اللي بتشتي لجل الأصفر يخضر ويرسم خط بطول الشوق لعنيكي.**

قعدت سنين أدرس في البحر المالح والنيل الحلو، وف تحت الأرض وفوقها، وادرس في وشوش الناس من برة وف جنتهم من جوة، وف شرع الله اللي بيحكم جوة ضميرك بين الخير والشر.

واتعلمت الرسم...

فاكرة أما قالولي: ارسم

فرسمت ف كراسة الرسم واحدة بتشبه ستي فهيمة فوق سجادة الصلاة رافعه إيديها وبتقول بعنيها: "يا رب" ودموعها بتحفر ترعة كبيرة بتروي الجنب التاني من الورقه بتاعة الكراسة.

والترعة بتحرسها الشجرة الخضرا، وبتحضن صياد وشه بيشبه عمي فاروق، وعيال عريانة نازلة تبلبط ع الجنبين، ودايرة ملَوِّنْها بلاصفر برسمها فوقيهم واربطها بقعر الصفحة بعشرين تلاتين خط بيتخاصموا لجل اما يوزعوا في النور ع الدنيا من أول ستي فهيمة ف جنب الصفحة، ولحد الجنب التانى اللي استهبلت وحطيت وسطيه الواد فارس لابس لبس العسكر، رافع بايديه نبوت شبه اللي بشوفهم ف ايدين الغفرا، وبيكبر بحروف مكتوبة وبينادى باسمك وحياتك.

ورسمت ف زفة مولد، ورسمت المعزة، ورسمت ف وش لبني آدم وكتبت فوقيه "عب ناصر"، ما انا أصلي ما شفتوش غير في لسان الناس.

فاكرة ؟...

أول ما نهيت الرسمة وقفت ورافع في الكراسة بإيدي لجل أما تشوفني الأبله ربيعة، وقلت بملو الصوت: "أنا خلصت".

والأبلة تبص على الرسمة وقرفانة وتزغرلي تقوللي: "إيه ده ؟"

وبرد عليها ولسايا فرحان: "دي مصر يا أبلة".

والأبلة تمدني على رجلي وتضربني فوق ضهر صوابعي، وتشخط فيا : "مصر ؟.. لهو أمثالك حيشوفوا مصر منين ؟.. ارسم حوش المدرسه يا حمار".

عيطت..

ولاقيتك واقفه قصادي، ملاك راسم على وشه الرسمة اللي الأبلة ربيعة رمتها من الشباك، ولاقيتك زي عوايدك تبتسميلي، واتخيلتك شايلاني وحضناني، وبتقولي: "ولا يهمك".

هاه، فاكرة ؟... إزاي مش فاكرة ؟.

طب فاكرة أما قالولنا حتطلعوا رحلة لمصر ؟، والمديرية حتبعت للمدرسة توموبيل ييجي قد القطر، والتوموبيل حيوديكم ويجيبكم.

فاكرة أما كسرت الحصالة وعديت الشلنات الفضة وقلت لنفسى يا واد يا مقامه هو يصح يا طحش تشوفك مصر لأول مره بلبسك ده؟، طب حتى اشتري جزمة جديدة أو حتى كاوتش عشان ماتوسخش البندر.

وجبت كاوتش جديد واتبقى معايا ريال، ف جريت على ستي فهيمة وقولتلها: "حدخل على مصر يا ستي وإيدي فاضية؟"

فاكرة؟...

حدفتني بشبشب كان جنب الحيطة وكان تحتيه جتة برص استهبل وعملها وبيبرطع في أوضتها.

خدت الشلنات وجريت على حسني البقال، عبيت كيس كامل ملبن وشوية كراملة، بالأربع شلنات والله.

وركبت التوموبيل، ساعتين بيعدوا علينا وبعديها الناظر بيقول إحنا بقينا ف مصر، دورت عليكي من الشبابيك ولاقيتك طايرة بفستانك لاخضر وإيديكي بتروي النيل والناس.. شبيت بعنيا لفوق وصرخت كتيييييير: "مصر.. مصر.. مصر"، ورفعت ف مالو إيديا لفوق تحدف للسما كل الملبن والكراملة.

وساعتها قالولي: "عبيط"

وضحكت وبصيتلك تاني من الشباك ولاقيتك حاضنة عنيا ومبتسمة وبتقولي: "يا مراحب، يا مراحب".

يااااااااااااااه يا بلدنا، إزاي مش فاكرة؟...

طب لما دخلت الجامعة، ولأول مرة في عمري بشوفك بعيوني، مش بعيون الراديو ولا بعيون العربيات اللوري ولا بعيون الناظر والكتب الميري، ولا حتى بعين "مصر" وعم فاروق.

أول مرة ف عمري أنام جواكي، أول مرة أحس إن البيه الراجح ملهوش لازمة، إنى ف حضنك أحسن بكتير م الناظر ومن العمدة.
كل الناس نصحوني قبل ما اجيلك إني ما بصش ع النسوان السارحين ليل ونهار ف شوارعك.
فى بلدنا الجدعان كانت بتقول: "نسوان مصر يودوا النار".

فاكرة أما لاقيت الناس في الجامعة بتهتف بحياتك وبتتخانق ويّا الغفرا بتوع البندر؟ بصيت ولاقيت واحدة من الزملا بتمسك إيدي وبتقول لي: "ارفع راية واهتف ضد الظلم".
ومشيت وياهم ووراهم، وشوية لاقيت التلاميذ واقفين ف صفوف بيصلوا صلاة الغايب على روحك، واستغربت كتير، بس وقفت وصليت وياهم.
وشوية وزادوا العسكر، غفرا كتير لابسين أسود ف أسود، وسوادهم مش زي سواد الحزن، شايلين نبابيت أكبر بكتير من نبابيت غفرا النقطة.
يومها عاتبتك من غير ما أتكلم...
ليه بتخللى الحراس يلبسوا لسود؟، وليه تخليهم زي ما قالوا يخافوا عليكي من التلاميذ؟، لهو حد يخاف من ولده الخارج من جوة حشاه؟، حد يا خلق يخون ويموّت روحه بروحه؟.

ساعتها دماغي خدتني لصورة روح الكلبة اللي اختارت عتبة دارنا عشان تهرب من غدر النبابيت الميري..

فاكراها؟.. أكيد فاكراها.

ف لاقيتني بشيل ويّا التلاميذ الـــ حواليا رايات مكتوبة بلون الذُل، ولاقيتني كمان بهتف وياهم، ولاقيتني بقول للعسكر وأنا بضرب فيهم: "عمر ولادها ما كانوا كلاب، سيبوا العدل يدق الباب".

وزمايلي ولاد الكلب شالوني على اكتافهم، عملوني زعيم.

وخدوني العسكر..

طبعًا فاكرة.. فاكرة الكرابيج السودة وصرخة مصلوب على باب الحيرة وألف سؤال بيدق في راسه وألف لسان بيعيط جواه وينادي عليكي.

ولأول مرة أنادي عليكي ومترديش، ولأول مرة بعيط وما تمسحش دموعي البسمة اللي ف وشك.

كده برضه يا مصر وهنت عليكي؟

شكلك لساكي بتفتكريني..

شكلك محتاجة أحكيلك عنيها؛ عن بنوتة لاقيتها بتحضن رسمة صورتك في عنيها؛ عن بنوتة قالتلي ف يوم:

"جرب مره تنام متعري وتستر أحلامك بعلَمها وفكّر فيها".

**شكلك عايزاني أحكيلك عنها كمان، عن فستانها الواسع لاخضر، عن شعر بيدارى في جوف الليل لجل أما ينور عين الحبيبة، عن همس رموش بتضلل بصتها وطلتها ف وش الخلق.**

**شكلك محتاجة أحكيلك عني أما دخلت الجيش ولبست الميري..**
**عني أما اتدهولت ف راسي وقلت أتجوز..**
**عن حلمي اللي ادارى ف وسط الزحمة لحد أما نسيت تجاعيده..**
**عن أكبر حدوتة ف جوفي اللي بتحكي عياط الليل على خد كلامي المتذوق...**

**شكلك لساكي بتفتكريني !!!**
**وعارفك بتحبي الحواديت !!!**
**حستنى ثواني ف عمرك وارجع من تاني أحكيلك حواديت..**
**يمكن... يمكن نتقابل مرة ف حضنك، واتأكد إنك لساكي هناك، جنب الروح.**

**أرجوكي استني الحواديت.**



لست قاصًا ولا روائيًا ولا حكاءً ولا شاعرًا...

فقط أجسد تأملاتي في ثوب يُصطلح عليه

ويتقبله الآخرون

مراد ماهر

murad_3li@yahoo.com

n


شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net